موجز عن
الدولة العثمانية



آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

موجز عن الدولة العثمانية

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مركز الرسول الاعظم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

موجز عن الدولة العثمانية

اشارة

اسم الكتاب: موجز عن الدولة العثمانية

المؤلف: حسينى شيرازى، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: مركز الرسول الاعظم(ص)

مكان الطبع: بيروت

تاريخ الطبع: ۱۴۱۹ ق

الطبعة: اول

بسم الله الرحمن الرحيم

قل سيروا فى الأرض

ثم انظروا كيف كان

عاقبة المكذبين

سورة الأنعام: ۱۱

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا أردنا ان نبنى مستقبلاً أفضل لا ـ بد ان نقرأ الماضى حتى نقف على الأخطاء السابقة فلا نكررها. وقراءة التاريخ تتكفل نوعاً ما بذلك.

وعند ما نقرأ تاريخ الأمة الإسلامية نراها مليئة بالنقاط الإيجابية المشرقة التى أخذت تغزو جميع حضارات العالم أخذت تتقدم يوماً بعد يوم حتى بلغ المسلمون ما بلغوا من المجد والعزة، والتقدم فى جميع مجالات الحياة مم اعترف به علماء الغرب وسموا المسلمين بآباء العلم الحديث، وكان كل ذلك بفضل التعاليم الإسلامية التى بينها وطبقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل بيته الطاهرون (عليهم السلام). ولكن شيئاً فشيئاً أخذت ألأمه الإسلامية تتقهقر وحصل ما

حصل اليوم من التأخر الغريب للمسلمين!! لماذا؟؟.

عند دراسة التاريخ يتبين بوضوح ان هناك عوامل كثيرة أدت بنا الى ذلك، ومن أهمها: سيطرة الحكام غير اللائقين على البلاد الإسلامية، والذين حكموا باسم الإسلام ولم يكونوا يعرفوا من الإسلام شيئا، فاخذوا بأزمة الحكم مستبدين فى سياستهم، ديكتاتوريين فى تصرفاتهم، ضاغطين على الشعب، مصادرين لأبسط حرياته، منشغلين عن إدارة العباد والبلاد بشهواتهم واهوائهم، على عكس ما أمر به الإسلام من الشورى فى الحكم وحرمة الاستبداد ووجوب رعاية حقوق الشعب وتضمين حرياته الإسلامية و...

ومن هؤلاء الحكام: السلاطين العثمانيون الذين حكموا ستمائة سنة!! وتوالى منهم على عرش الحكم ستة وثلاثون سلطاناً، وكان منهم من ارتكب من الأعمال ما تقشعر منه الأبدان، وكان منهم السفاكون الظالمون، والمبذرون المسرفون، والمهملون الجاهلون، والغارقون

فى بحور اللهو والخلاعة، واللعب بالحسان من البنات والبنين!! التاركين للواجبات والفاعلين لأشد المحرمات، فكانوا لا يرحمون حتى اخوتهم وأولادهم فيكف بشعوبهم وكيف بسائر الناس من المسلمين وغير المسلمين.. على خلاف صريح القرآ ن وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته فى أول حكومة إسلامية شكلها فى المدينة المنورة.

هذا وقد اهتم المرجع الدينى الأعلى الإمام الشيرازى (دام ظله) اشد الاهتمام بالقضية الإسلامية، أبدى كبير حرصه على ان يستيقظ المسلمون ويستعيدوا عزهم ومجدهم، ويرجعوا الى حضارتهم الفائقة ولذلك خصص قسماً كبيراً من تأليفا ته القيمة التى تجاوزت آلف كتاب وكراس بهذا الموضوع.

وهذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارى العزيز تلخيص لتاريخ الدولة العثمانية، وسترى فيه البون الشاسع بين الحكومة الإسلامية وتعاليمها وبين هؤلاء الذين حكموا باسم الإسلام وكانوا من أهم أسباب تأخر المسلمين ... فرأينا طباعته ليكون من مقدمات إنهاض المسلمين بعونه تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

مركز الرسول الأعظم (ص) للتحقيق والنشر

بيروت لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبهد: فهذا موجز مبسط فى تاريخ العثمانين، وهو تلخيص لكتاب (تاريخ الدولة العثمانية).

اخترته لبيان بعض أسباب تأخر المسلمين وانقسام بلادهم وتشتتهم وتقدم الغرب عليه، بعد ما بلغت الحضارة الإسلمية أوجها حينما كان الغرب فى تأخر كبير وكبير.

وما كان ذلك الا لابتعاد المسلمين وخاصة حكامهم عن التاليم الإسلامية ومخالفتهم للسيرة النبوية الشريفة (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسلوب أمير المؤمنين على عليه السلام فى الحكم، فشوهوا بأعمالهم سمعة الإسلام وأخروا الأمة الإسلامية ومهدوا الطريق لسيطرة الأعداء على بلاد المسلمين.

نسأل الله سبحانه ان يوفق المسلمين لاسترجاع عزهم والعود الى حضارتهم والرجوع الى سنته تعالى، انه سميع مجيب.

(موجز عن الدولة العثمانية) تلخيص (تاريخ الدولة العثمانية) بقلم محمد الشيرازى والله المستعان.

قم المقدسة

مؤسس الدولة العثمانية

مؤسس الدولة العثمانية

مؤسس هذه الدولة هو (أرطغرل بن سليمان شاه التركمانى) قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى، وذلك إنه كان راجعاً إلى بلاد العجم بعد موت أبيه غرقاً عند اجتيازه أحد الأنهر، إذ شاهد جيشين مشتبكين، فوقف على مرتفع من الأرض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى الرحل من القبائل الحربية، ولما آنس الضعف فى أحد الجيشين وتحقق انكساره وخذلانه إن لم يمد إليه يد المساعدة دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين وهاجم الجيش الثانى بقوة وشجاعة عظيمتين حتى وقع الرعب فى قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر، لولا هذا المدد الفجائى، وأعمل فيهم

السيف والرمح ضرباً ووخزاً حتى هزمهم شر هزيمة وكان ذلك فى أواخر القرن السابع للهجرة.

وبعد تمام النصر عمل (ارطغرل) لنجدة الأمير (علاء الدين) سلطان (قونية) إحدى الإمارات السلجوقية فكافأه (علاء الدين) على مساعدته له بإقطاعه عدّة أقاليم ومدن.

ولما توفى (أرطغرل) سنة ۶۸۷ه عيّن (الملك علاء الدين) أكبر أولاده مكانه (عثمان) مؤسس الدولة العثمانية.

وفى هذه السنة ولدت زوجته (مال خاتون) ولداً ذكراً وهو (أورخان).

ولم يلبث (عثمان) أن تحصل على امتيازات جديدة عقب فتحه قلعة (قرة حصار) سنة ۶۸۸ه فمنحه الملك فى السنة المذكورة لقب (بك) وأقطعه كافة الأراضى والقلاع التى فتحها، وأجاز له ضرب العملة، وأن يذكر اسمه فى خطبة الجمعة، وبذلك صار (عثمان بك) ملكاً بالفعل لا ينقصه إلا اللقب.

وتقريباً فى سنة ۶۹۹ ه أى السنة المتممة للقرن السابع من التاريخ الهجرى أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة (علاء الدين) آخر السلجوقيين بقونية، قيل: قتله التتر، وقيل: قتله ولده (غياث الدين) طمعاً فى الملك.

ولما قتل التتار (غياث الدين) أيضا انفتح المجال (لعثمان) فاستأثر بجميع الأراضى المقطعة له ولقب نفسه (بادى شاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة (يكى شهر) وأخذ فى تحصينها وتحسينها ثم أخذ فى توسيع دائرة أملاكه (أزميد) ثم (ازنيك).

ولما لم يتمكن من فتحها عاد إلى عاصمته واشتغل فى تنظيم البلاد حتى إذا أمن اضطرابها وتجهز للقتال أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور: الإسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم إليه، وقبل البعض دفع الخراج، واستعان الباقون على (السلطان عثمان) بالتتار واستدعوهم لنجدتهم، لكن لم يعبأ بهم (السلطان عثمان) بل هيأ لمحاربتهم جيشا جراراً تحت إمرة ابنه (أورخان) فسار إليهم هذا الشبل ومعه عدد ليس بقليل من أمراء الروم ومن ضمنهم (كوسه ميخائيل) صديق (عثمان) الذى اختار الإسلام ديناً، وبعد محاربة عنيفة شتت شمل التتار، وعاد مسرعاً لمحاصرة مدينة بورصة، فحاصرها سنة ۷۱۷ه، وللتمكن من فتحها بسهولة هاجم حصن اردنوس الكائن على قمة جبل أولمب فدخله عنوة ثم دخل مدينة بورصة بعد أن فتح كافة ما حولها من القلاع والحصون وحاصرها نحو عشر سنوات من غير حرب ولا قتال، إذ أرسل ملك القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب فأخلاها ودخلها (أورخان) وعساكره ولم يتعرض لأهلها بسوء مقابل دفع ثلاثين ألف من عملتهم الذهبية، وأسلم حاكمها (افرينوس) وأعطى له لقب (بك) وصار من مشاهير قواد العثمانيين.

وعقب ذلك بقليل استدعى (أورخان) إلى والده فوجده فى حالة النزع، ولم يلبث أن أسلم الروح إلى بارئ النسمات ومبدع الكائنات، بعد أن أوصى للملك بعده (أورخان) ثانى أولاده المولود فى سنة ۶۸۰ه لاتّصافه بعلو الهمة والشجاعة والإقدام ولم يوص بها لبكر أولاده (علاء الدين) لميله إلى الورع والعزلة، وتوفى فى ۲۱ رمضان سنة ۷۲۶ه عن سبعين سنة قضى معظمها فى تأسيس هذه الدولة.

ومن حسن حظ هذه الدولة أن (علاء الدين) لم يعارض هذه الوصية، واكتفى بوزارة المملكة (الصدارة العظمى) التى قلده إيّاها أخوه (اورخان).

ومن أهم أعمال (علاء الدين) أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب، ووضع نظاما للجيوش وجعلها دائمية، إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده، ثم خشى من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع إليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التى كان كل سعيهم فى إيجادها، فأشار عليه أحد فحول ذلك الوقت واسمه (قرة خليل) وهو الذى صار فيما بعد وزيرا أولا باسم (خير الدين باشا) بأخذ الشبان من أسرى الحرب و فصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون أبا إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالى لا يخشى من تحزبهم معهم، فأعجب السلطان (أورخان) هذا الرأى وأمر بإنفاذه.

ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى (الحاج بكطاش) شيخ طريقة البكتاشية بأماسية ليدعو لهم بخير، فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال: فليكن اسمهم (ينى تشارى) يرسم بالتركية هكذا (يكيجرى) أى الجيش الجديد، ثم حرف فى العربية فصار (انكشارى).

ثم ارتقى هذا الجيش فى النظام وزاد عدده حتى صار لا ـ يعول إلا ـ عليه فى الحروب، وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية، كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بما جعلهم سببا فى تأخر الدولة وتقهقرها.

واستمرت هذه الفئة عونا للدولة على أعدائها، حتى تغيرت أحوالها وازداد طغيانها وانقلبت فوائدها مضرات. فأبطلها (السلطان محمود الثانى) بعد أن قتل أغلبهم فى يوم العاشر ذى القعدة سنة ۱۲۴۱ه لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم المقدسة.

اما (اورخان) أول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة إلى مدينة بورصة لحسن موقعها وارسل قواد جيوشه المظفرة لفتح ما بقى من بلاد آسيا الصغرى.. ولم يبق من مدن الروم المهمة ببر آسيا إلا مدينة ازنيك فحاصرها وضيّق عليها الحصار حتى دخلها بعد سنتين فسقط بسقوطها نفوذ الروم فى بلاد آسيا.

ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ (السلطان أورخان) فى تجهيز الكتائب سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبى تكون مركزا لأعمال العثمانيين فى أوروبا، حتى إذا سنحت الفرص وساعدت المقادير حاصروا مدينة القسطنطينية برا وبحرا ودخلوها فاتحين.

وفى سنة ۷۶۰ه توفى (سليمان باشا) ولى عهد الدولة بسبب سقوطه من على ظهر جواده وصارت ولاية العهد بعده إلى أخيه (مراد) وتولى منصب الصدارة بعده الوزير (خير الدين باشا).

وفى سنة ۷۶۱ ه انتقل إلى الدار الآخرة (السلطان أورخان الغازى) وسنّه ۸۱ سنة، ومدة حكمه ۳۵ سنة بعد أن أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة ودفن فى مدينة بورصة حيث دفن ملوك آل عثمان الستة الأول.

وتولى بعده ابنه (السلطان مراد الأول) المولود سنة ۷۲۶ه وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة (انقرة) مقر سكنة القرمان. وذلك أن سلطان هذا الإقليم واسمه (علاء الدين) أراد انتهاز فرصة انتقال الملك من (السلطان أورخان) إلى ابنه (السلطان مراد) لإثارة حمية الأمراء المستقلين وتحريضهم على قتال العثمانيين.

اما فى أوربا ففتح (البكلربك لالة شاهين) مدينة آدرنة فى سنة ۷۶۲ه سلمها قائدها الرومى بعد قتال قليل لما داخله من اليأس من استخلاصها.

ولأهمية موقعها الجغرافى ووجودها على ملتقى ثلاثة أنهر، نقل اليها السلطان تخت المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية سنة ۸۵۷ ه.

ولما مات القائد (خير الدين باشا) أشهر قواد الدولة ظن متاخموها أنه لم يبق لديها من القواد من يرد كيدهم فى نحرهم، فاتحد (علاء الدين) أمير القرمان الذى سبق ذكره، مع بعض الأمراء المستقلين واستعدوا للقتال وابتدءوا المناوشات. لكن لم يمهلهم (السلطان مراد) بل أرسل إليهم (ديمور طاش باشا) فحاربهم وقهرهم فى سهل قونية وأخذ (علاء الدين) أسيرا. ولولا توسط ابنته التى كان تزوجها (السلطان مراد) عقب المحاربة الأولى، لجرده من أملاكه، ولكن مراعاة لزوجته لم يأخذ منه شيئا هذه الدفعة بل أقره فى أملاكه بشرط دفع الجزية وكان ذلك سنة ۷۸۸ ه.

ولما علم (لازار) ملك الصرب بانخذال رفيقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلا جهة الغرب للانضمام إلى أمراء ألبانيا (الارنؤد) فلم يمكنه (السلطان مراد) من ذلك بل جد السير فى طلبه حتى لحقه فى سهل (قوص أوه) سنة ۷۹۱ ه وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان، وبقيت الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن تناثرت فيها الرؤوس وزهقت النفوس وأخيرا فر صهر (الملك لازار)

المدعو (فوك برانكوفتش) ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح (الإزار) ووقع أسيرا فى أيدى العثمانيين فقتلوه.

مقتل السلطان مراد

وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان (السلطان مراد) يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندى صربى اسمه (ميلوك كوبلوفتش) وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هى القاضية عليه بعد قليل، فسقط القاتل قتيلاً تحت سيوف الانكشارية، لكن لم يفدهم قتله شيئاً إذ أسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل.

السلطان بايزيد خان الأول

وتولى السلطان (بايزيد خان الأول) بكر أولاده وكانت ولادته سنة ٧٦١ه وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى (يعقوب) متصفا بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة، فخيف على المملكة منه، من أن يدعى الملك ويرتكن على أن الملك انتقل إلى (السلطان أورخان) بعد وفاة أبيه (السلطان عثمان) ولم يتول بعده ابنه البكر (علاء الدين) ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها.

وهابه أمير (آيدين) فترك له أملاكه وعاش مطمئن الخاطر فى إحدى المدن الخارجة عن النفوذ العثمانى، وكذلك ترك (أميرا منتشا) و(صاروخان) ولايتيهما واحتميا عند أمير (قسطمونى).

وتنازل الأمير (علاء الدين) حاكم بلاد القرمان للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمنه على الباقى. ومع استمرار الحصار حول القسطنطينية ضم السلطان بلاد البلغار إلى الأملاك العثمانية فصارت ولاية عثمانية كباقى الولايات بعد أن قتل أميرها (سيسمان) وأسلم ابنه وعين حاكما لسمسون سنة ٧٩٦ ه.

فلما علم (سجسمون) ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشى على مملكته إذ صار متاخما فى عدة نقط للدولة (العثمانية) فاستنجد بأوروبا وساعد البابا، وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة دوك (بورغونيا) وأرسل ابنه (الكونت دى نيفر) ومعه ستّة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرانسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرانسا نفسه، وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا) و(استيرى) و(شواليه) القديس (حنا الأورشليمى) وكثير من الالمانيين، قاتلوا قتالاً عنيفا فى يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ٧٩٨ه.

كانت نتيجتها انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرانسا منهم (الكونت دى نيفر) نفسه وقتل أغلبهم.

إغارة تيمورلنك

إغارة تيمورلنك

وسبّب إغارة (تيمور لنك) التترى الموغولى على الدولة العثمانية أن أمير بغداد والعراق المدعو (أحمد جلاير) التجأ إلى (السلطان بايزيد) حينما هاجمه الموغول فى بلاده، فأرسل (تيمور لنك) إلى السلطان بطلبه، فأبى تسليمه إليه فأغار (تيمور) بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى، وافتتح مدينة (سيواس) بأرمينيا وأخذ ابن (السلطان بايزيد) المدعو (ارطغرل) أسيرا وقطع رأسه، ولذلك جمع (السلطان بايزيد) جيوشه وسار لمحاربة (تيمور الأعرج).

فتقابل الجيشان فى سهل انقره واستمرت الحرب من قبل شروق الشمس إلى غروبها، وأظهر السلطان خلالها من الشجاعة ما بهر العقول وأدهش الأذهان، ولكن ضعف جيشه بفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها إلى جيوش (تيمور) لوجود أولاد

أمرائهم الأصليين فی معسكر التتار ولم يبق مع السلطان إلا عشرة آلاف انكشاری وعساكر الصرب فحارب معهم طول النهار، حتی سقط أسيرًا فی أيدی الموغول هو وابنه (موسی) وهرب أولاده (سليمان) و(محمد) و(عيسی) ولم يوقف لابنه الخامس (مصطفی) علی أثر، وكان ذلك فی ۱۹ ذی الحجة سنة ۸۰۴ ه. فعامل (تيمور لنك) أسيره (بايزيد) بالحسنی وأكرم مثواه، لكنه شدد فی المراقبة عليه نوعا بعد أن شرع فی الهروب ثلاث مرات وضبط. ويقال أنه سجنه فی قفص من حديد حتی مات فی ۱۵ شعبان سنة ۸۰۵ ه و عمره ۴۴ سنة و مدة حكمه ۱۳ سنة.

الفوضی بعد موت السلطان بايزيد

وبعد موت (السلطان بايزيد) تجزأت الدولة إلی عدة إمارات صغيرة، كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق، لأن (تيمور لنك) أعاد إلی أمراء قسطمونی وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد. واستقل فی هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان.

ومما زاد الخطر علی هذه الدولة الإسلامية عدم اتفاق أولاد (بايزيد) علی تنصيب أحدهم، بل كان كل منهم يدعی الأحقية لنفسه، فأقام (سليمان) فی مدينة آدرنه، حيث ولاه الجنود سلطانا. ولأجل أن يستظهر علی اخوته عقد محالفة مع ملك الروم (أيما نويل الثانی) وتنازل له عن مدينة سلانيك وسواحل البحر الأسود، لينجده علی اخوته الباقين ولزيادة الوثوق منه تزوج إحدی قريباته.

وكان (محمد بايزيد) يحارب جنود (تيمور لنك) فی جبال الأناطول، واستخلص منهم مدينتی (توقات) و(أماسيا).

أما (عيسی) فلما بلغه خبر وفاة والده جمع ما كان معه من الجند بمدينة بورصة، حيث كان مختفيا وأعلن نفسه خليفة آل عثمان بمساعدة القائد (ديمور طاش باشا).

و مما يوجب الأسف والحزن أن استنجد كل من هؤلاء الثلاثة (بتيمور لنك)، سبب هذه الفتن والمفاسد، فقبل وفودهم بكل ارتياح وشجعهم علی المثابرة والثبات فی الحرب، يريد بذلك إضعافهم ببعضهم حتی لا تقوم للدولة بعدهم قائمة.

فسار (محمد) لمحاربة أخيه (عيسی) وهزمه فی عدة مواقع وقتله فی الأخيرة منها، ولم يبق له بعد ذلك منازع من اخوته فی آسيا الصغری، واستخلص أخاه (موسی) بعد ذلك من أميركرميان، وسلمه قيادة جيش جرار أرسله به إلی أوروبا لمحاربة أخيه (سليمان) فلم يقو عليه، بل انهزم أمامه وعاد مقهورا إلی آسيا.

ثم جمع جيشا آخر وعاد به إلی أوروبا وحارب أخاه (سليمان) وقتله خارج أسوار مدينة أدرنة فی سنة ۸۱۳ ه، وبعدها أغار علی بلاد الصرب وعاقب أهلها علی خروجهم عن الطاعة وقاتل (سجسمون) ملك المجر الذی تصدی له لرده عن بلاد الصرب، لكن داخل الطمع (الأمير موسی) فعصی أخاه (محمد) الذی أمده بالجنود لمحاربة أخيهما (سليمان) وأراد الاستقلال ببلاد الدولة بأوروبا وحاصر القسطنطينية ليفتحها لنفسه، فاستنجد ملكها ب (الأمير محمد) فأتی إليه مسرعا لمحاربته، وألزمه بعد محاربة شديدة برفع الحصار عنها ثم حالف (الأمير محمد) ملك القسطنطينية وأمير الصرب وبثوا الدسائس فی جيش (موسی) حتی خانه أغلب قواده ووقع أخيرا بين يدی أخيه (محمد) فأمر بقتله سنة ۸۱۶ ه.

انفراد السلطان محمد جلبی الغازی بالملك

وبذلك انفرد (محمد) المولود سنة ۷۸۱ ه۲ بما بقی من بلاد آل عثمان واشتهر فی التاريخ باسم (السلطان محمد جلبی الغازی).

هذا وقد كانت مدة حكم (السلطان محمد) كلها حروبا داخلية لإرجاع الإمارات التی استقلت فی مدة الفوضی التی أعقبت موت (السلطان بايزيد) فی الأسر، وحافظ علی محالفة ملك الروم، الذی لولا مساعدته له، لخيف علی عری الدولة من الانفصام، ورد له البلاد التی فتحها أخوه (موسی) واستمر علی محافظته لعهده إلی آخر عمره.

وظهر فی أيام هذا الملک شخص يسمی (بدر الدين) من العلماء المشهورين فی ذاک الوقت، وکان معينا بوظيفة قاضی عسکر فی جيش (موسی)، أخی (السلطان محمد)، وبعد انهزام (موسی) کما سبق ذکره ألزم بالإقامة فی مدينة (أزنيک) ثم هرب منها وابتدأ فی نشر آرائه واستعان فی نشر مذهبه بشخص يدعی (بير قليجه مصطفی) واشتهر أمره بسرعة وکثر عدد تابعيه. ولما علم السلطان بذلک جمع الجيوش، وأرسل وزيره الأول المدعو (بايزيد باشا) لمحاربة هذه الفئة فصار إليها وقابل (مصطفی) فی ضواحی أزمير فحاربه فی موقع يقال له (قره بورنو) وقهره وأخذه أسيرا ثم قتله وکثيرا من أتباعه.

وبعد ذلک بذل (السلطان محمد جلبی) قصاری جهده فی محو آثار هذه الفتن بإجرائه الترتيبات الداخلية الضامنة لهم حدوث شغب فی المستقبل، وبينما کان السلطان مشتغلا بهذه المهام السلمية فاجأه الموت فی سنة ۸۲۴ ه فی مدينة أدرنه فاسلم الروح وعمره ۴۳ سنة، بعد أن أوصی بالملک لابنه (مراد) الذی کان حينئذ فی اماسيا.

وخوفا من حصول ما لا تحمد عقباه لو علم موت (السلطان محمد) مع وجود ابنه (مراد) فی بلاد آسيا، اتفق وزيراه (إبراهيم) و(بايزيد) علی إخفاء موته عن الجند حتی يحضر ابنه، فأشاعا أن السلطان مريض وأرسلا لابنه فحضر بعد واحد وأربعين يوما واستلم مقاليد الدولة.

السلطان مراد خان الثانی

ولد (السلطان مراد الثانی) سنة ۸۰۶ ه وتولی سنة ۸۲۴ ه بعد موت أبيه، وعمره ثمانی عشرة سنة، وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمان، والاتفاق مع ملک المجر علی هدنة خمس سنوات حتی يتفرغ لإرجاع ما شق عصا الطاعة من ولايات آسيا.

وفی محاربة بينه وبين عمه (مصطفی) خانه بعض قواده وترکه أغلب جنوده حتی التزم الهروب إلی مدينة جاليبولی، فسلمه بعض أتباعه إلی ابن أخيه (مراد الثانی) فأمر بشنقه.

وتنازل أمير قسطمونی عن نصف أملاکه للسلطان، وزوجه ابنته سنة ۸۲۶ ه إظهارا لإخلاصه وولائه، وفی السنة التالية عصی (قره جنيد) واستولی علی إمارة آيدين، لکن قهره (حمزة بک) أخو الوزير (بايزيد باشا) وقبض عليه وأمر بخنقه.

وأعاد (مراد الثانی) إلی أملاک الدولة ولايات آيدين وصاروخان ومنتشا وغيرها ... وکلک استرد بلاد القرمان بعد أن قتل أميرها (محمد بک).

ووجه اهتمامه أولاً ـ إلی بلاد ألبانيا، فأطاعه سکان يانيه، وسکان أغلب باقی البلاد، بدون کثير عناء، مشترطين عدم التعرض لهم فی دينهم ولا عوائدهم، وألزم (جان کستريو) أمير الجزء الشمالی من بلاد ألبانيا، أن يسلم له أولاده الأربعة رهينة علی صدقه وولائه، ثم ضم أملاکه إليه بعد وفاته سنة ۸۳۵ ه.

وفی سنة ۸۳۷ ه اعترف (فلاد) أمير الفلاخ الملقب (دره قول)، أی الشيطان، بسيادة الباب العالی عليه تخلصا من الحرب التی کان لا يشک فی وخامة عاقبتها عليه، لکن لم يکن هذا الخضوع إلا ـ ظاهريا، فإنه ما لبث أن ثار هو وأمير الصرب بنا علی تحريض ملک المجر لهما فحاربهما السلطان وقهرهما، ثم سار إلی بلاد المجر وخرب کثيرا من بلدانها وعاد منها فی سنة ۸۴۲ ه بسبعين ألف أسير علی ما يقال.

وأغار علی بلاد (ترنسلفانيا) وحاصر مدينة (هرمان ستاد) التابعة لملک الجر وکان حاکم هذا الإقليم (هونياد) قائد عموم جيوش المجر فأتی هذا القائد الشهير علی جناح السرعة للدفاع عنها وانتصر علی العثمانيين، وقتل منهم عشرين ألف نفس، وقتل قائدهم وألزم من بقی منهم بالرجوع خلف نهر الدانوب.

وأخيرا أبرم (السلطان مراد) معهم الصلح علی أن يتنازل عن سيادته علی بلاد الفلاخ ويرد إلی أمير الصرب مدائن (سمندريه) و(ألاجه حضار) وأن يهادن المجر مدة عشر سنوات وأُمضيت المعاهدة فی سنة ۸۴۸ه.

وعقب ذلك توفى أكبر أولاد السلطان واسمه (علاء الدين) فحزن عليه والده حزنا شديدا وسئم الحياة فتنازل عن الملك لابنه (محمد) البالغ من العمر أربع عشرة سنة، وسافر هو إلى ولاية آيدين للإقامة بعيدا عن هموم الدنيا وغمومها.

لكنه لم يلبث فيها، لأن عساكر الانكشارية ازدروا بملكهم الفتى (محمد الثانى) وعصوه، ونهبوا مدينة أدرنة عاصمة الدولة، فرجع إليهم (السلطان مراد الثانى) فى أوائل سنة ۸۴۹ ه وأخمد فتنتهم. وخوفا من رجوعهم إلى إقلاق راحة الدولة أراد أن يشغلهم بالحرب فأغار على بلاد اليونان.

وقد توفى فى يوم ۵ محرم سنة ۸۵۵ ه وتولى بعده ابنه (السلطان أبو الفتح محمد الثانى) ونقلت جثته إلى مدينة بورصة وسنّه ۴۹ ومدة حكمه ۳۰ سنة.

السلطان محمد الثانى

ولد هذا السلطان فى ۲۶ رجب سنة ۸۳۳ ه وهو سابع سلاطين هذه السلالة الملوكية.

وبعد أن أمر بنقل جثة والده إلى مدينة بورصة، لدفنها بها، أمر بقتل أخ له رضيع اسمه (أحمد)، ولإرجاع (الأميرة مارا) الصربية إلى والدها.

ثم أخذ يستعد لتتميم فتح ما بقى من بلاد البلقان و مدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق منافق.

لكنه قبل التعرض لفتح القسطنطينية أراد أن يحصن بوغاز البوسفور حتى لا يأتى لها مدد من مملكة طرابزون، وذلك بأن يقيم قلعة على شاطىء البوغاز من جهة أوروبا تكون مقابلة للحصن الذى أنشأه (السلطان بايزيد يلدرم) ببر آسيا.

ولما بلغ ملك الروم هذا الخبر أرسل إلى السلطان سفيرًا يعرض عليه دفع الجزية التى يقررها فرفض طلبه، وسعى [السلطان] فى إيجاد سبب لفتح باب الحرب، ولم يلبث أن وجد هذا السبب بتعدى الجنود العثمانية على بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم وقتل البعض من الفريقين.

فحاصر السلطان المدينة [القسطنطينية] فى سنة ۸۵۷ ه من جهة البر، بجيش يبلغ المأتين وخمسين ألف جندى، ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وثمانين سفينة، وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية (مدفعية) وضع بها مدافع جسيمة صنعها صانع مجرى شهير اسمه (أوربان) كانت تقذف كرات من الحجر.

فعند ذلك نبّه السلطان على جيوشه بالاستعداد للهجوم فى يوم ۲۰ / ج ۱ / سنة ۸۵۷ ه ووعد الجيوش بمكافأتهم عند تمام النصر وباقطاعهم أراضى كثيرة.

وفى الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصرة، وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون. حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر للهجوم، فهجم مائة وخمسون ألف جندى، وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج، وأعملوا السيف فيمن عارضهم. وقد أرّخ بعضهم هذا الفتح المبين (بلدة طيبة) سنة ۸۵۷ ه وسميت المدينة إسلامبول أى تخت الإسلام أو مدينة الإسلام.

ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر، فوجد الجنود مشتغلة بالسلب والنهب وغيره، فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء، فساد الأمن حالا.

ثم زار كنيسة (أياصوفيا) وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين.

وبعد تمام الفتح على هذه الصورة أعلن فى كافة الجهات بأنه لا يعارض فى إقامة شعائر ديانة المسيحيين، بل إنه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم، فرجع من هاجر من المسيحيين وأعطاهم نصف الكنائس، وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين. ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقا لهم، فاختاروا (جورج سكولاريوس)، واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيسا لطائفة الأروام، واحتفل

بتثبيته بنفس الأبهة والنظام الذی کان یعمل للبطارقة فی أیام ملوک الروم المسیحیین، وأعطاه حرسا من عساکر الانکشاریة ومنحه حق الحکم فی القضایا المدنیة والجنائیة بکافة أنواعها المختصة بالاروام، وعین معه فی ذلک مجلسا مشکلا من أکبر موظفی الکنیسة، وأعطی هذا الحق فی الولایات للمطارنة والقسوس، وفی مقابلة هذه المنح فرض علیهم دفع الخراج مستثنیا من ذلک أئمة الدین فقط.

ولما عاد إلیها جهز جیشا لمحاربة أمیر الفلاخ المدعو (فلاد دره قول) أی الشیطان، لمعاقبته علی ما ارتکبه من الفظائع مع أهالی بلاده والتعدی علی تجار العثمانیین النازلین بها. فلما قرب منها أرسل إلیه هذا الأمیر وفدا یعرض علی السلطان دفع جزیة سنویة قدرها عشرة آلاف دوکا بشرط أن یصادق علی جمیع الشروط الواردة بالمعاهدة التی أبرمت فی سنة ۷۹۵ ه بین أمیر الفلاخ إذ ذاک (السلطان بایزید).

فقبل (السلطان محمد الثانی) هذا الاقتراح وعاد بجیوشه ولم یقصد أمیر الفلاخ بهذه المعاهدة إلا التمکن من الاتحاد مع ملک المجر ومحاربة العثمانیین. فلما علم السلطان باتحادهما أرسل إلیه مندوبین یسألانه عن الحقیقة فقبض علیهما وقتلهما بوضعهما علی عمود محدد من الخشب (خازوق).

وأغار بعدها علی بلاد بلغاریا التابعة للدولة، وعثا فیها الفساد، ورجع بخمسة وعشرین ألف أسیر، فأرسل إلیه السلطان یدعوه إلی الطاعة وإخلاء سبیل الأسری، فلما مثل الرسل أمامه أمرهم برفع عمائمهم لتعظیمه وعند إبائهم طلبه لمخالفته لعوائدهم أمر بان تسمر عمائمهم علی رؤوسهم بمسامیر من حدید.

فلما وصلت هذه الأخبار إلی (السلطان محمد) استشاط غضبا وسار علی الفور بمائة وخمسین ألف مقاتل لمحاربة هذا الشقی الظلوم، فوصل فی أقرب وقت إلی مدینة (بخارست) عاصمة الأمیر بعد أن هزمه وفرق جیوشه لکنه لم یتمکن من القبض علیه لمجازاته علی ما اقترفه من المظالم والمآثم، لهروبه والتجائه إلی ملک المجر فنادی السلطان بعزله ونصب مکانه أخاه (راوول) لثقته به بما أنه تربی فی حضانة السلطان منذ نعومة أظفاره، وبذا ضمت بلاد الفلاخ إلی الدولة.

ویقال إن عند وصول (السلطان محمد) إلی ضواحی (بخارست) وجد حول المدینة جثث الأسری الذین أتی بهم أمیر الفلاخ من بلاد بلغاریا وقتلهم عن آخرهم بما فیهم الأطفال والنساء وکان عددهم جمیعا عشرین ألفا.

وبعد ذلک أخذ (البابا بیوس الثانی) یسعی فی تحریض الأمم المسیحیة علی محاربة المسلمین حربا دینیة، لکن عاجله المنون قبل إتمام مشروعه. إلا أن تحریضاته هاجت (اسکندر بک) الألبانی فحارب الجنود العثمانیة وحصل بینهما عدة وقائع أهرق فیها کثیر من الدماء وکانت الحرب فیها سجالا.

وفی سنة ۸۷۱ ه توفی (اسکندر بک) بعد أن حارب الدولة العثمانیة خمسا وعشرین سنة بدون أن تقوی علی قمعه، فکان من أشد خصوم الدولة وألد أعدائها.

وکانت الحرب متقطعة بین العثمانیین والبنادقة الذین استعانوا ببابا رومه وأمیر نابولی ومع کل فکان النصر دائما للعثمانیین ولم یتمکن البنادقة من استرجاع شیء مما أخذ منهم. وفی سنة ۸۸۰ ه أراد السلطان فتح بلاد البغدان فأرسل إلیها جیشا بعد أن عرض دفع الجزیة علی أمیرها المسمی (اسطفن الرابع) ولم یقبل.

وبعد محاربة عنیفة قتل فیها کثیر من الجیشین المتحاربین عادت الجیوش العثمانیة بدون فتح شیء من هذا الإقلیم.

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجیوش إلی بلاد المجر لفتح إقلیم ترنسلفانیا، فقهرها کینیس کونت مدینة تمسوار بالقرب من مدینة کرلسبرج فی سنة ۸۸۱ ه، وقتل فی هذه الموقعة کثیر من العثمانیین وارتکب المجر فظائع وحشیة بعد الانتصار فقتلوا جمیع الأسری ونصبوا موائدهم علی جثثهم.

وفی یوم ۴ ربیع الأول سنة ۸۸۶ ه توفی أبو الفتح (السلطان محمد الثانی الغازی) عن ثلاث وخمسین سنة، حکمه ۳۱ سنة، تمم فی خلالها مقاصد أجداده، ففتح القسطنطینیة وزاد علیها فتح مملکة طرابزوم الرومیة والصرب والبوشناق وألبانیا (الأرنؤود) وجمیع أقالیم

آسيا الصغرى ولم يبق فى بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة، ودفن فى المدفن المخصوص الذى أنشأه فى أحد الجوامع التى أسسها فى الآستانة.

وأهم أعماله المدنية ترتيب وظائف القضاء، من أكبر وظيفة وهى قضاء الروملى إلى أقل وظيفة. ووضع أول مبادىء القانون المدنى وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنية، أى? العين بالعين ...والسن بالسن ?وجعل عوضها الغرامات النقدية.

السلطان بايزيد خان الثانى

توفى (السلطان أبو الفتح محمد الثانى) عن ولدين، أكبرهما (بايزيد) المولود سنة ۸۵۱ ه و كان حاكما فى باماسيا.

وثانيهما (جم) المشهور فى كتب الإفرنج باسم البرنس (زيزيم) وكان حاكما فى القرمان. فأخفى الصدر الأعظم (قرمانى محمد باشا) موت (السلطان محمد) حتى يأتى بِكر أولاده (بايزيد). ولكنه لشدة ارتباطه ومودته بالأصغر أرسل إليه سرا يخبره بموت أبيه كى يحضر قبل أخيه الأكبر ويستلم مقاليد الدولة.

ولما أذيع هذا الخبر ثار الانكشارية على هذا الوزير وقتلوه وعثوا فى المدينة سلبا ونهبا وأقاموا ابن (السلطان بايزيد) واسمه (كركود) نائبا عاما عن أبيه لحين حضوره و ذلك فى يوم ۵ ربيع الأول سنة ۸۸۶ ه.

وفى يوم ۱۳ ربيع الأول وصل الرسول إلى (بايزيد) فسافر فى اليوم التالى بأربعة آلاف فارس، ووصل القسطنطينية بعد مسير تسعة أيام، مع أن المسافة تبلغ ۱۶۰ فرسخا تقطع عادة فى نحو ۱۵ يوما، فقابله أمراء الدولة وأعيانها عند بوغاز (مضيق) البوسفور، وفى أثناء اجتيازه البوغاز أحاطت به عدة قوارب ملأى بالانكشارية وطلبوا منه عزل أحد الوزراء المدعو(مصطفى باشا) وتعيين (اسحاق باشا) ضابط القسطنطينية مكانه فأجاب طلبهم.

وكذلك عند وصوله إلى السراى الملوكية وجدهم مصطفين أمامها طالبين العفو عنهم فيما وقع من قتل الوزير ونهب المدينة وأن ينعم عليهم بمبلغ سرورا بتعيينه فأجابهم إلى جميع مطالبهم. وصارت هذه سنّة لكل من تولى بعده إلى أن أبطلها (السلطان عبد الحميد خان الأول) سنة ۱۱۸۷ه.

أما الرسول الذى كان أرسله الوزير (محمد) إلى الأمير (جم)، فقبض عليه (سنان باشا) حاكم (الأناطول) وقتله حتى لا يصل خبر موت (السلطان محمد) إليه.

وكانت أول حروبه داخلية وذلك أن أخاه (جما) لما بلغه خبر موت أبيه سار على الفور مع من حاز به ولاذ به قاصدا مدينة بورصة، فدخلها عنوة بعد ان هزم ألفى انكشارى.

ثم أرسل إلى أخيه يعرض عليه الصلح بشرط تقسيم المملكة بينهما فيختص (جم) بولايات آسيا و(بايزيد) باوروبا، فلم يقبل (بايزيد) بل أتى إليه وقهره بالقرب من مدينة (يكى شهر) فى يوم ۲۳ جمادى الأولى سنة ۸۸۶ ه وتبعه حتى أوصله إلى تخوم البلاد التابعة لمصر.

وفى عودته إلى عاصمته طلب منه الانكشارية أن يبيح لهم نهب مدينة بورصة مجازاة لها على قبولها الأمير (جما) فلم يوافقهم على ذلك، وخوفا من حصول شغب منهم دفع إلى كل نفر منهم قرشين. فأقام (جم) هذه السنة بالقاهرة ضيفا عند (السلطان قايدباى) ثم عاد فى السنة الثانية إلى حلب، و منها راسل (قاسم بك) آخر ذرية أمراء القرمان ووعده أنه لو أنجده وساعده للحصول على ملك آل عثمان يرد له بلاد أجداده، فاغتر(قاسم بك) بهذه الوعود وجمع أحزابه وسار مع (الأمير جم) لمحاصرة مدينة قونيه عاصمة بلاد القرمان، فصدهم عنها القائد العثمانى (كدك أحمد باشا) فاتح مدينتى كافا واوترنت وألزم الأمير(جما) بالفرار.

ثم حاول هذا الأمير الصلح مع أخيه بشرط إقطاعه بعض الولايات. ولما رفض السلطان هذا الطلب الذى لا يكون وراءه إلا انقسام الدولة، أرسل (الأمير جما) رسولا من طرفه إلى رئيس رهبنة القديس (حنا الأورشليمى) برودوس يطلب منه مساعدته على أغراضه،

فقبلوه عندهم بالجزيرة. ووصل إليها فى ۶ جمادى الثانية سنة ۸۸۷ ه وقابله أهلها بكل تجلة واحترام.

وبعد قليل وصلت إلى الجزيرة وفود من (السلطان بايزيد) لمخابرة رئيس الرهبنة على إبقاء أخيه (جما) عندهم تحت الحفظ، وفى مقابلة ذلك يتعهد لهم السلطان بعدم التعرض لاستقلال الجزيرة مدة حياته ويدفع مبلغا سنويا للرهبنة المذكورة قدره ۴۵ ألف دوكا، فقبل لرئيسهم ذلك وأوفوا بوعدهم ولم يقبلوا تسليمه إلى ملك المجر أو إمبراطور ألمانيا اللذين طلبا إطلاق سراحه ليستعملاه آلة فى إضعاف الدولة العثمانية، بل أرسله رئيس الرهبنة إلى فرنسا، ووضع تحت الحفظ أولا فى مدينة نيس ثم فى شمبرى، وبقى ينقل من بلدة لأخرى مدة سبع سنوات. وفى سنة ۸۹۳ ه سلمه رئيس الرهبنة إلى (البابا أنوسان الثامن)، وهو خابر (السلطان بايزيد) طالبا أن يحفظه عنده وتدفع إليه الدولة ما كانت تدفعه إلى رهبنة رودس فقبلت، ثم مات هذا البابا وخلفه (إسكندر بورجيا) الشهير.

وفى هذه الأثناء حاصر ملك فرانسا مدينة رومة وطلب من البابا أن يسلمه (الأمير جما) العثمانى فسلمه إليه. ويقال أنه دس له السم قبل تسليمه إليه، وما فتئ هذا الأمير مصاحبا لجيوش فرانسا حتى توفى فى يوم ١٨ جمادى الأول سنة ٩٠٠ه فى مدينة نابولى، ودفن فى بلدة (جاييت) بإيطاليا، ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة إلى البلاد العثمانية ودفن فى مدينة بورصة فى قبور أجداده. وتوفى عن ٣۶سنة قضى منها ١٣ فى هذه الحالة الشبيهة بالأسر خارجا عن بلاده.

وفى عهد هذا السلطان ابتدأت علاقات الدولة مع مملكة الروس، وابتدأت العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية فى سنة ٨٩٧ه حيث وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسى ومعه جملة هدايا للسلطان. وبعد ذلك بأربع سنوات أتى إليها سفير آخر واستحصل من الدولة على بعض امتيازات لتجار الروس.

ولقد تكدر صفاء حياة الملك فى سنى حكمه الأخيرة بعصيان أولاده عليه وإضرامهم نار الحروب الداخلية التى لولا ما وقع فى قلوب أعدائها من الرعب لكانت هذه الحروب العائلية فرصة عظيمة لهم. وذلك أن (السلطان بايزيد الثانى) كان له ثمانية أولاد ذكور، توفى منهم خمسة فى صغرهم، وبقى ثلاثة، وهم: (كركود) و(أحمد) و(سليم).

وكان أولهم مشتغلا بالعلوم و الآداب ومجالسة العلماء ولذا كان يمقته الجيش لعدم ميله للحرب، والثانى كان محبوبا لدى الأعيان والأمراء وكان (على باشا) أكبر الوزراء مخلصا له، وكان ثالثهم وهو (سليم) محبا للحرب ومحبوبا لدى الجند عموما والانكشارية خصوصا.

ولاختلافهم فى المشارب والآراء خشى والدهم وقوع الشقاق بينهم، ففرق بينهم وعين (كركود) واليا على إحدى الولايات البعيدة و(أحمد) على أماسيا و(سليما) على طرابزون. وعين أيضا (سليمان) ابن ابنه (سليم) واليا على (كافا) من بلاد القرم فلم يرض (سليم) بهذا التعيين بل ترك مقر وظيفته وسافر إلى كافا بالقرم وأرسل إلى أبيه يطلب منه تعيينه فى إحدى ولايات أوروبا، فلم يقبل السلطان بل أصر على بقائه بطرابزون، فعصى (سليم) والده جهارا، وسار بجيش جمعه من قبائل التتر إلى بلاد الروملى وأرسل والده جيشا لإرهابه. ولما وجد من ابنه التصميم على المحاربة قبل تعيينه بأوروبا حقنا للدماء وعينه واليا على مدينتى (سمندرية) و(ودين) سنة ٩١٧ه.

ولما وصل إلى (كركود) خبر نجاح أخيه (سليم) فى مقاومته انتقل إلى ولاية صاروخان، واستلم إدارتها بدون أمر أبيه، ليكون قريبا من القسطنطينية عند الحاجة.

ثم سار(سليم) إلى (أدرنه) وأعلن نفسه سلطانا عليها، فأرسل والده إليه من هزمه وألجأه إلى الفرار ببلاد القرم. وأرسل جيشا آخر لمحاربة (كركود) بآسيا فهزمه أيضا.

لكن التزم (السلطان بايزيد) بالعفو عن ابنه (سليم) بناء على إلحاح الانكشارية لتعلقهم به وإعادته إلى ولاية سمندرية.

وفى أثناء توجه (سليم) إليها قابله الانكشارية وأتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به إلى سراى السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور، فقبل واستقال فى يوم ٨ صفر سنة ٩١٨ه وبعد ذلك بعشرين يوما سافر للإقامة ببلدة ديموتيقا فتوفى فى

الطريق يوم ۱۰ ربيع الأول سنة ۹۱۸ه عن ۶۷سنة، ويدعى بعض المؤرخين أن ولده دس إليه السم خوفا من رجوعه إلى منصة الملك. ومدة حكمه ۳۲سنة كما فعل (السلطان مراد الثانى) الذى سبق ذكره.

السلطان سليم الأول

لما كان تعيينه بمساعى الانكشارية يقتضى توزيع المكافآت عليهم حسب المعتاد، أعطى لكل نفر منهم خمسين دوكا، ثم عين ابنه (سليمان) حاكما للقسطنطينية، وسافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة اخوته وأولاد اخوته حتى يهدأ باله بداخليته ولم يبق له منازع فى الملك، فاقتفى أثر أخيه (أحمد) إلى أنقرة، ولم يتمكن من القبض عليه، لوجود علاقات بينه وبين الوزير (مصطفى باشا) الذى كان يخبره بمقاصد السلطان. لكن علم السلطان بهذه الخيانة فقتل الوزير شر قتلة جزاء له وعبرة لغيره ثم ذهب إلى بورصة حيث قبض على خمسة من أولاد إخوته وأمر بقتلهم.

وبعدها توجه بكل سرعة إلى صاروخان مقر أخيه كركود ففرمنه إلى الجبال وبعد البحث عليه عدة أسابيع قبض عليه وقتل.

أما (أحمد) فجمع جيشا من محازبيه وقاتل العساكر العثمانية فانهزم وقتل بالقرب من مدينة (يكى شهر) فى يوم ۱۷صفر سنة ۹۱۹ه. ولما اطمأن خاطره من جهة داخليته عاد إلى مدينة ادرنة حيث كان بانتظار سفراء من البندقية والمجر والموسكو وسلطنة مصر، فابرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس التى كانت أخذت فى النمو والارتقاء فى عصر ملكها (شاه إسماعيل) الشيعى، فإنه فتح ولاية شيروان وجعل مركزه مدينة تبريز سنة ۹۱۴ه وبعدها فتح العراق العربى وبلاد خراسان وديار بكر سنة ۹۱۴ه وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد. وفى سنة ۹۱۶ه ضم إلى أملاكه بلاد فارستان وآذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسى إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء نهر اموداريا.

[قتل الشيعة]

ولإيجاد سبب للحرب مع ايران أمر (السلطان سليم) بحصر عدد الشيعة المنتشرين فى الولايات المتاخمة لبلاد العجم بطريقة سرية، ثم أمر بقتلهم جميعا. ويقال أن عددهم كان يبلغ نحو الأربعين ألفا وهذه المذبحة كالمذبحة التى حصلت بباريس فى ۵ / ج۱ / سنة ۹۸۰ه المشهورة فى التواريخ بمذبحه سان برتليمى.

وبعد ذلك أعلن (السلطان سليم) (الشاه إسماعيل) بالحرب وسافر بجيوشه من مدينة أدرنه فى ۲۲ محرم سنة ۹۲۰ه. وفى أثناء مسيره تبادل مع الشاه رسائل مفعمة بالسباب.

وسار الجيش العثمانى تحت قيادة (السلطان سليم) نفسه كما جرت به العادة قاصدا مدينة تبريز عاصمة العجم، وكانت الجيوش الفارسية تتقهقر أمامه خدعة منهم لينهك التعب الجيوش العثمانية فينقضوا عليهم. واستمروا فى تقهقرهم إلى أرباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين فى وادى (جان دران) فى ۲ رجب سنة ۹۲۰ ه فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا لمساعدة الطوبجية لها، وفر الشاه بما بقى من جيوشه ووقع كثير من قواده فى الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها بل زوجها لأحد كاتبى يده انتقاما من الشاه.

وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان فى يوم ۱۴ رجب سنة ۹۲۰ ه واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية. وكذلك أرسل إليها أربعين شخصا من أمهر صناع هذه المدينة.

وعندما أقبل الربيع بنضارته رجع السلطان إلى بلاد العجم ففتح قلعة كوماش الشهيرة، وإمارة ذى القدر سنة ۹۲۱ه، ثم رجع إلى القسطنطينية تاركا قوّاده لإتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية.

ولما وصل إليها أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الانكشارية الذين كانوا سبب الامتناع عن التقدم فى بلاد فارس، كما سبق الذكر،

خشية من امتداد الفساد وعدم الاطاعة في الجيوش، وأمر بقتل قاضي عسكر هذه الفئة واسمه (جعفر جلبي) لأنه كان من أكبر المحرّكين لهذا الامتناع.

وبعد عودة السلطان إلى القسطنطينية فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين واورفه والرقة والموصل وبذا تم فتح إقليم ديار بكر.

ولم ينته (السلطان سليم) من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر وسلطانها (قانصوه الغوري)، وكان الغوري استعد أيضا لمحاربته، فتقابل الجيشان وهُزِمَ (الغوري) وساعدت المدافع العثمانيين على النصر وقُتِلَ (الغوري) في أثناء انهزام الجيش وسنّه ثمانون سنة. وكان ذلك في يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ه.

وبعد هذه الموقعة احتل (السلطان سليم) بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق، وعين بها ولاة من طرفه.

وفي يوم ٨ محرم سنة ٩٢٣ه دخل العثمانيون مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر، حتى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة.

ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن (محمد المتوكل على الله) آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة (هولاكو خان التتري) سنة ٦٥٦ه وكانت له الخلافة بمصر اسماً، تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى (السلطان سليم العثماني) وسلّمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة. وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله وسلم) اسماً.

وتمكنت الدولة العثمانية من إبقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مأتي سنة، ثم أهملت ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من المماليك من الأمور المخلّة بالنظام، فضعفت شوكة الدولة وهيبتها التي كانت لها على مصر، وأخذ البكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية في الديار المصرية، فآل الأمر والنهي لهم في الحكومة وصارت الدولة صورية غير حقيقية وكان من سبب ذلك إكثارهم من شراء المماليك.

ولو كانت الدولة تنبهت لهذا الأمر ومنعت بيع الرقيق لكانت الأمور باقية على ما وضعها (السلطان سليم) ولكن غفلت عن هذا الأمر كما غفلت عن أمور كثيرة، ومن ذلك لحق الأهالي الذل والإهانة وهاجر كثير منهم إلى الديار الشامية والحجازية وغيرهما، وخربت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة المزارعين وعدم الاعتناء بتطهير الجداول والخلجان التي عليها مدار الخصب. ونتج من ذلك ومن خوف الدولة من تمكن (الباشا) في الحكومة أن تغلبت البكوات وصارت كلمتهم هي النافذة وانفردوا بالتصرف.

وفي أوائل شهر سبتمبر (ايلول) سنة ٩٢٣ه سافر (السلطان سليم) من القاهرة عائداً إلى القسطنطينية، التي صارت من ذلك الوقت مقر الخلافة الاسلامية العظمى، وفي أثناء مروره بصحراء العريش التفت لوزيره الأكبر (يونس باشا) الذي كان فتح مصر على غير رأيه و قال له ما معناه: أنه قد أتم فتحها خلافا لرأيه، فجاوبه (يونس باشا) بأن فتحها لم يعد عليه بشيء إلا قتل نحو نصف الجيش بما أنه سلمها لخائن كان غرضه التملك عليها لنفسه فلا يؤمن ولاؤه للدولة، فغضب السلطان من هذا الكلام الموجه إليه بصفة لوم وأمر بقتله في الحال فقتل.

وفي أثناء إقامة السلطان بمدينة أدرنه وصل إليه سفير من قبل مملكة إسبانيا ليخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف، الذي كان قبلا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنويا للمماليك، فأحسن السلطان مقابلته وصرح بقبوله ذلك إذا أرسل ملكه رسولا آخر مخولا له حق ابرام معاهدة مع الباب العالي.

وكان في هذه المدة مشتغلا بتجهيز عمارة بحرية لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحرا، وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيا، فجمع خمسة عشر ألف فارس بمدينة قيصرية وضم إليهم ثلاثين ألف جندي من المشاة تحت قيادة (فرحات باشا) بيلر بك الأناطول، وأرسل إليهم عددا عظيما من المدافع والذخائر، لكن لم يمهله المنون بل عاجله في رحلته من القسطنطينية إلى أدرنة، فتوفي في يوم

۹شوال سنة ۹۲۶ه وأخفى طبيبه الخصوصى خبر موته عن الحاشية ولم يبلغه إلا للوزراء، فاجتمع كل من (بيرمحمدباشا) و(أحمدباشا) و(مصطفيباشا) وقرروا إخفاء هذا الأمر حتى يحضر ولده (سليمان) من إقليم صاروخان، خوفا من أن تثور الانكشارية كما هى عادتهم. فكانت مدة حكمه كمدة حكم جده (محمد الفاتح). وكان ميالا لسفك الدماء، فقتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية. وكان كل وزير مهددا بالقتل لأقل هفوة، حتى صار يدعى على من يرام موته بأن يصبح وزيرا له.

السلطان سليمان خان الأول

السلطان سليمان خان الأول

ولد هذا الملك غرة شعبان سنة ۹۰۰ه وهو عاشر ملوك آل عثمان. وبمجرد وصول خبر موت أبيه قام قاصدا القسطنطينية ودخلها فى يوم ۱۶ شوال سنة ۹۲۶ه وكان فى انتظاره على إفريز السراى جنود الانكشارية فقابلوه بالتهليل وطلب الهدايا المعتاد توزيعها عليهم عند تولية كل ملك، وبعد ظهر ذلك اليوم حضر (بيرمحمدباشا) من أدرنه وأخبر عن وصول جثة (السلطان سليم) فى اليوم التالى.

وفى صبيحة ۱۷ شوال جرت رسوم المقالات السلطانية، فوفد الأمراء و الوزراء والأعيان يعزون السلطان بموت والده ويهنئونه بالخلافة فى آن واحد وهو يقابلهم بملابس الحداد. وعند الظهر وصل إليه خبر قدوم الجثة فخرج لمقابلة النعش خارج الدينة وسار فى الجنازة حتى واروها التراب على أحد مرتفعات المدينة، وأمر ببناء جامع شاهق وهو جامع سليمية ومدرسة فى المحل الذى دفن فيه.

وكانت باكورة أعماله بعد توزيع النقود على الانكشارية تعيين مربيه (قاسم باشا) مستشارا خاصا، وإبلاغ توليته على عرش الخلافة العظمى إلى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة فضل العدل والقسط فى الأحكام ووخامة عاقبة الظلم، وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة?: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.?

ثم أخذ السلطان فى الاستعداد برا وبحرا لفتح جزيرة رودس التى لم يتمكن (السلطان محمد الفاتح) من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر، ولكى لا يكون للمسيحيين مركز حصين فى وسط بلاده تلجأ إليه عمارات الدول المعادية للدولة وقت الحرب، وأراد الإسراع فى تتميم هذا العمل العظيم الذى عجز أسلافه عنه لوجود ملوك أوروبا مشتغلين فى جهات أخرى لا يمكنهم مساعدة الرهبنة المحتلة لها. فكان ملك فرانسا (فرانسوا الأول) وشارل الخامس الشهير ب (شار لكان) ملك إسبانيا وألمانيا معا مشتغلين بمحاربة بعضهما، والبابا (لاون) العاشر مشتغلا مجادلة ومقاومة الراهب الألمانى (لوثر) مؤسس مذهب البروتستانت، وبلاد المجر مضطربة فى الداخل بسبب عدم اتفاق أمرائها وأعيانها وصغر سن ملكها (لويس الثانى)، كل هذه الأسباب حملت السلطان على انتهاز هذه الفرصة لفتح هذا الحصن المنيع لكن اقتضت شفقته أن يرسل إلى رئيس الرهبنة قبل الشروع فى الحرب كتابا يعرض عليه إخلاء الجزيرة والانسحاب منها بكل من معه من المسيحيين الذين يؤثرون المهاجرة على البقاء متعهدا له بعدم التعرض لأنفسهم ولأموالهم، ولما لم يقبل رئيسهم هذا الاقتراح أمر السلطان العمارة البحرية فأقلعت قاصده رودس، وسافر هو من طريق البر إلى خليج (مرمورا) المقابل للجزيرة من جهة آسيا، ولما أعيت الحيل رئيس هذه الرهبنة واسمه (فيلى دى ليل أدام) الفرنساوى الأصل ونفدت مؤونته وذخائره أرسل اثنين من رهبانه إلى السلطان فى ۲ صفر سنة ۹۲۹ه يطلب منه السماح لهم بإخلاء الجزيرة فى مدة اثنى عشر يوما بشرط أن تبتعد الجيوش العثمانية عن المدينة المحصورة مسافة ميل من كل جهاتها حتى لا يحصل للمحصورين ضرر عند خروجهم فقبل السلطان ذلك، لكن فى الخامس منه دخل المدينة فريق من الانكشارى رغم أوامر السلطان واحتلوا المدينة، وارتكبوا كافة أنواع القبائح حسب عادتهم، فغضب السلطان وأمر بمراعاة شروط التسليم وعاقب المفسدين، فأعيد الأمن وسادت السكينة. وفى اليوم التالى قابل السلطان رئيس الرهبنة وأنعم عليه بخلعة سنية. وفى يوم ۱۳ صفر سنة ۹۲۹ه سافرت هذه الفئة الممحضة نفسها للدفاع عن الدين المسيحى ومحاربة المسلمين قاصدة جزيرة مالطة التى تنازل لها عنها (الملك شاركان) واستمرت هذه الرهبنة نازلة بها حتى

احتلها (بونابرت) عند قدومه مصر سنة ۱۲۱۳ه.

وعين الخليفة (أحمد باشا) واليا على مصر لوفاة (خير بك) فى الوقت الذى كان فيه السلطان محاصرا لجزيرة (رودس)، ولما وصل (أحمد باشا) إلى القاهرة أخذ فى استمالة من بقى من أمراء المماليك إليه بإقطاعهم الأراضى وإغضائه عما يرتكبونه من أنواع الآثام والمظالم.

ولما تحقق من إخلاصهم أعلن العصيان مرة واحدة واستولى على القلعة بعد قتل حاميتها، فأرسل إليه السلطان أمرا بعزله من ولاية مصر وبالعود إلى الآستانة وتسليم الولاية لخلفه (قره موسى)، فقتل الرسول و(قره موسى) الوالى الجديد. ثم خانه أحد وزرائه واسمه (محمد بك) وأراد القبض عليه فهرب واختفى عند عرب البادية، فاقتفى أثره حتى ضبطه وقتله وأرسل رأسه إلى الآستانة، فعين بدله (قاسم باشا) الوالى الأسبق وكوفىء (محمد بك) بتقليده وظيفة (دفتر دار الولاية) سنة ۱۲۱۴ ه.

هذا وفى ۲۵ مارس سنة ۹۳۱ه تذمر الانكشارية بعد عودة السلطان من مدينة (أدرنة) التى كان توجه إليها للإقامة بها فى فصل الشتاء ونهبوا سراى (إبراهيم باشا)، الصدر الأعظم الذى كان إذ ذاك بمصر، ومحل الجمرك وعدة أماكن أخرى من منازل الأعيان وحارة اليهود، ولولا أن تدارك السلطان الخطب بنفسه لأمتد العصيان، لكنه أسكتهم عن السلب والنهب بتوزيع ألف (دوكا) عليهم، ثم بعد ذلك عزل بعض رؤسائهم الذين كانوا سبب هذا العصيان، وقتل بعضهم.

وقابل (السلطان سليمان) السفير الفرانساوى فى ۶ ديسمبر سنة ۹۳۱ه باحتفال زائد وأجزل له العطايا، وبعد أن عرض عليه السفير مطالب ملكه وعده السلطان بمحاربة المجر، لكن لم تمض بينهما معاهدة بل اكتفى السلطان بأن كتب لملك فرانسا بتاريخ أوائل ربيع الثانى سنة ۹۳۲ه جوابا يظهر له فيه استعداده لمساعدته وهذه صورته نقلا عن ترجمة الجزء الأول من تاريخ (جودت باشا):

الله العلى المعطى المغنى المعين

(بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته وعلت كلمته، وبمعجزات سيد زمرة الأنبياء وقدوة فرقة الأصفياء محمد المصطفى الكثيرة البركات، وبمؤازرة قدس أرواح حماية الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وجميع أولياء الله، أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك، ظل الله فى الأرضين، سلطان البحر الأبيض والبحر الأسود، والأناضول والروملى وقرمان الروم وولاية (ذى القدرية) و(ديار بكر) و(كردستان) و(أذربيجان) و(العجم) و(الشام) و(حلب) و(مصر) و(مكة والمدينة والقدس) وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا، التى فتحها آبائى الكرام وأجدادى العظام بقوتهم القاهرة، أنار الله براهينهم، وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتى بسيف الظفر، أنا السلطان (سليمان خان) بن السلطان (سليم خان) بن السلطان (بايزيد خان) إلى (فرنسيس) ملك ولاية فرنسا: وصل إلى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذى أرسلتموه مع تابعكم (فرانقبان النشيط) مع بعض الأخبار التى أوصيتموه بها شفاهيا وأعلمنا أن عدوكم استولى على بلادكم وأنكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم، وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمى الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوما، فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فان آبائى الكرام وأجدادى العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لأجل فتح البلاد ورد العدو ونحن أيضا سالكون على طريقتهم، وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة، وخيولنا ليلا ونهارا مسروجة، وسيوفنا مسلولة، فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بإرادته ومشيئته، وأما باقى الأحوال والأخبار تفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا)

تحريرا فى أوائل شهر آخر الربيعيين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

بمقام دار السلطنة

القسطنطينية المحروسة المحمية

فتح بلاد المجر وعاصمتها

وحارب الخليفة بلاد المجر، فأخذوا في التقهقر تتبعهم العساكر المظفرة حتى قتل اغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته.

فكانت هذه الواقعة سبب ضياع استقلال بلاد المجر بأسرها لعدم وجود جيش آخر يقوم العثمانيين في مسيرهم، ولحصول الفوضى في البلاد بسبب موت سلطانهم، ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة المجر مفاتيح المدينة إلى السلطان فاستلمها، وانتشرت الجنود في جميع أنحاء المدينة وفي جميع أرجاء بلاد المجر ناهبين قاتلين مرتكبين كل الفظائع التي ترتكبها الجيوش غير المنتظمة عقب الانتصار.

وبعد دخول السلطان إلى مدينة (بود) جمع أعيان القوم وأمراءهم ووعدهم بأن يعين (جان زابولي) أمير(ترانسلفانيا) ملكا عليهم ثم غادر إلى مقر خلافته مستصحبا معه كثيرا من نفائس البلاد وأهمها الكتب التي كانت موجودة في خزائن (متياس كورفن).

وكذلك فعل (نابليون) حينما دخل مصر في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة فانه أخذ كثيرا من كتب الفقه وأحكام الشريعة الغراء.

ثم أغار ملك النمسا على المجر وفتح مدينة (بود) فسار الخليفة الأعظم إلى مدينة (بود) عاصمة المجر، فوصلها في ۳ سبتمبر وابتدأ الحصار لكن لم يلبث (فردينان) ملك النمسا أن فر هاربا من (بود) قاصدا مدينة (ويانه) عاصمة النمسا، وفي الثامن منه طلب قائد الحامية النمساوية بمدينة (بود) تسليم المدينة وقلاعها إذا وعدهم السلطان بالسماح لهم بالخروج بدون تعرض لحياتهم، ولما أجابهم السلطان لذلك أخلوا المدينة، وفي حال خروجهم منها انقض عليهم الانكشارية وقتلوا أغلبهم غير طائعين لأوامر رؤسائهم مهددين من رغب في منعهم من القواد والضباط.

ولنذكر هنا حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الأكبر (مصطفى) بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان) أما في كتب الترك فاسمها (خورم)، ذلك حتى يتولى بعده ابنها (سليم)، ولما لها من الثقة بالصدر الأعظم (رستم باشا) إذ كان تعيينه بمساعيها لدى السلطان بعد موت (إياس باشا) وما زالت تساعده حتى زوجه السلطان ابنته منه فكاشفته بمرغوبها، وهو تمهيد الطريق لتولي ابنها (سليم) فانتهز هذا الوزير فرصة انتشاب الحرب بين الدولة ومملكة العجم في سنة ۹۶۰ه ووجود (مصطفى) ضمن قواد الجيش، وكتب إلى أبيه بأن ولده يحرض الانكشارية على عزله وتنصيبه كما فعل (السلطان سليم الأول) مع أبيه (السلطان بايزيد الثاني)، فلما وصل هذا الخبر إلى السلطان، وكانت والدة (سليم) قد تمكنت من تغيير أفكاره نحوه، قام في الحال قاصدا بلاد العجم متظاهرا بأنه يريد أن يتولى قيادة الجيش، ولما وصل إلى المعسكر استدعى ولده المسكين إلى سرادقه في يوم ۱۲ شوال سنة ۹۶۰ ه، وبمجرد وصوله إلى الداخل خنقه بعض الحجاب المنوطين بتنفيذ مثل هذه الأوامر، فقتل شهيد دسائس زوجة والده وعدم تثبت أبيه مما نسب إليه.

ثم نقلت جثته إلى مدينة (بورصة) ودفنت مع جثث أجداده. ولم تكتف هذه المرأة بقتل (مصطفى سلطان) بل أرسلت إلى مدينة بورصة من قتل ابنه الرضيع. وقال في ذلك بعض الشعراء:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي جلدا وأنت والد سوء تأكل الولدا

أما الإنكشارية فثاروا وطلبوا من السلطان قتل الوزير (رستم باشا) المدبر لهذه المكيدة حبا في حفظ منصبه، فعزله السلطان تسكينا لخاطرهم وولى مكانه الوزير (أحمد باشا). لكن لم يهدأ بال زوجة السلطان حتى أغرت زوجها على قتل هذا الوزير وإرجاع (رستم باشا) مكافأة له على تنفيذ سيئ أغراضها، فقتله السلطان.

وكان للسلطان (سليمان) ابن آخر اسمه (جهانكير) حزن حزنا شديدا على قتل أخيه مصطفى حتى توفي شهيد المحبة الأخوية بعد موت أخيه بقليل، واختلف في موته أنه قتل نفسه أمام والده بعد ان بكتّه على قتل أخيه، وقيل غير ذلك.

ولم تكن هـذه الحادثـة خاتمـة الفظائع، بل أعقبها بقتل ابنه الثانى (بايزيـد) وأولاده الخمسـة، وذلك أن مربّى (بايزيـد) المـدعو (لاله مصـطفى) عين ناظر خاصة (سـليم سلطان) ولكون هذا الأمير كان يخشى مزاحمة أخيه (بايزيد) له فى الملك بعد موت أبيهما كاشف (لاله مصـطفى) بأنه يريد إيغار صدر على (بايزيد) ليقتله ويكون هو (سـليم) الوارث الوحيد لملك آل عثمان، فأخذ (مصطفى) يبحث عن الطريقـة الموصـلة حتى اغرى السـلطان عليه فأرسـل السـلطان رسـلا إلى (بايزيـد) وأولاـده فقتلوهم جميعا، وهم (بايزيـد) وأولاده الأربعة (أورخان) و(محمود) و(عبد الله) و(عثمان) فى مدينة قزوين ببلاد العجم فى ۱۵ محرم ۹۶۹ه ونقلت جثثهم إلى مدينة (سيواس) حيث واروها الثرى. وكان ل (بايزيـد) ابن صـغير فى مدينة بورصة فخنق أيضا ودفن فى جانب والده واخوته. وفى أوائل شـهر سـبتمبر اشتد مرض السلطان وتوفى فى ۲۰ صفر سنة ۹۷۴ه عن أربع وسبعين سنة قمرية، وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة.

السلطان سليم خان الثانى

السلطان سليم خان الثانى

ولد (السلطان سليم الثانى) فى ۶رجب سنة ۹۳۰ه وهو ابن (روكسـلان) الروسية، وتولى الملك بعد موت أبيه ووصل إلى القسطنطينية فى ۹ربيع أول سنة ۹۷۴ه، وبعد أن مكث بها يومين سار على عجل إلى مدينة (سكدوار) للاحتفال بإرجاع جثة والده إلى القسطنطينية، فقابله خارج المدينة سفراء فرنسا والبندقية القادمين لتهنئة بالملك.

ولما وصل مدينـة صوفيا فى ۶ أكتوبر أرسل الرسل إلى كافـة الممالك الخارجيـة والولايات الداخليـة يخبرهم بموت أبيه وتوليته على عرش آل عثمان، ومنها قصـد مدينـة بلغراد ومكث فيها حتى أتى الوزير (محمـد باشا صـقللى) بجثـة والـده، وذلك أن الوزير (محمد باشـا) لم يعلن بوفـاة (السـلطان سـليمان) إلا فى أثناء عودته من مدينـة (سـكدوار) إلى بلغراد، بل أوهم الجنـد أن السـلطان مريض ولا يمكن لأحـد مقابلته ولما أعلن موته إلى الجنود بعد موته بنحو خمسـين يوما لبست الجيوش عليه الحداد وساروا إلى بلغراد حيث كان (سـليم الثـانى) فى انتظـارهم، فطلبت الجنود منه أن يوزع عليهم العطايـا المعتـادة، فـأبى ثم أذعن لطلباتهم لإظهارهم العصـيان والتمرد وعـدم إطاعتهم أوامر ضـباطهم وامتهانهم لهم بحضور السـلطان، ثم انه أعطى امتيازات كثيرة للأجانب وقد كثرت المنكرات فى عهدة خصوصا شرب الخمر.

وأيّد (السـلطان سـليم) الامتيازات القنصـلية التى حصـلت بين والـده (السـلطان سـليمان) وملك فرنسا وزاد عليها امتيازات ومعاهـدات أخرى فسـحت المجال أمام القناصل الفرنسـية للتـدخل فى الشؤون الداخليـة للدولـة العثمانيـة، وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة فى البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة، وأرسـلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافة بلاد الدولـة الموجودة بهـا مسـيحيون، خصوصا فى بلاد الشام، لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبـة فرنسا. وكانت هـذه الامتيازات الموجبة لضـعف الدولة بسـبب تدخل القناصل فى الإجراءات الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسـيحيين، واتخاذها لها سبيلا لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسـيحيين، وأهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الإرساليات الدينية فى حفظ جنسية ولغة كل شـعب مسـيحى، حتى إذا ضـعفت الدولة أمكن هذه الشـعوب الاسـتقلال بمساعدة الدول المسـيحية أو الانضـمام إلى إحدى هذه الدول، كما شوهد ذلك فى هذا القرن الأخير.

واقعة ليبانت البحرية

وفى هـذه الأثناء غزت المراكب العثمانيـة جزيرة (كريـد) و(ظنته) وغيرها بـدون أن تفتحها، واحتلت مدائن (دلسـنيو) و(انتيبارى) على البحر (الأدريـاتيكى) ولمـا رأت البندقيـة تغلب العثمانيين عليها وفتـح كثير من بلادها اسـتعانت باسـبانيا والبابا، وتم بينهم الاتفاق على

محاربة الدولة بحرا، خوفا من امتداد سلطتها على بلاد إيطاليا، فجمعوا مراكبهم وجعلوا (دون جوان) ابن (شارلكان) سفاحا من إحدى خليلاته أميرا عليها. فسارت سفن المسيحيين إلى شواطىء الدولة، وكانت تلك الدونانمة المختلطة مؤلفة من سبعين سفينة اسبانيولية ومائة وأربعين سفن البنادقة واثنا عشر للبابا وتسعة من سفن رهبنة مالطه.

وقابلت هذه الدونانمة العمارة العثمانية مؤلفة من ۳۰۰ سفينة فى ۱۷ جمادى الأول سنة ۹۷۹ه بالقرب من ليبنته، واشتبك بينهم القتال مدة ثلاث ساعات متوالية انتهى الأمر بعدها بانتصار الدونانمة المسيحية، فأخذت ۱۳۰ سفينة عثمانية، وأحرقت وأغرقت ۹۴ وغنمت ۳۰۰ مدفعا و ۳۰ ألف أسير. وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى. واشتراك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التألبات ضد الدولة هو الدين، كما أيدته الحوادث والحروب فيما بعد لا السياسة كما يدعون.

وكان لهذا الفوز رنة فرح فى قلوب المسيحيين أجمع.

وفى ۲۷ شعبان سنة ۹۸۲ه توفى (السلطان سليم الثانى)، وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية، ومدة حكمه ثمانى سنين وخمسة أشهر، وتوفى عن ستة أولاد وهم: (مراد) و(محمد) و(سليمان) و(مصطفى) و(جهانكير) و(عبد الله) وثلاث بنات تولى بعده ابنه (السلطان مراد الثالث).

السلطان مراد خان الثالث

ولد هذا السلطان بالقسطنطينية فى ۵ جمادى الأولى سنة ۹۵۳ه وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذى شاع استعماله أيام السلطان السابق وأفرط فيه الجنود الانكشارية، فثار الانكشارية لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية. وأمر بقتل أخوته، وكانوا خمسة، ليأمن على الملك من المنازعة، إذ صار قتل الأخوة عادة تقريباً.

وفى أيامه تحصلت (إيزابلا) ملكة الإنكليز على امتياز خصوصى لتجار بلادها، وهى ان مراكبها تحمل العلم الإنكليزى، وكان لا يجوز لها ذلک قبلا، بل كانت السفن على اختلاف أجناسها، ما عدا سفن البندقية، لا تدخل إلى موانئ الدولة إلا تحت ظل العلم الفرنساوى ليس إلاـ كما قضت بذلک العهود التى أبرمت مع (السلطان سليمان) وابنه (السلطان سليم الثانى)، وتجددت فى أوائل حكم هذا السلطان.

وفى سنة ۹۸۶ه حصلت فتنة داخلية فى مملكة مراكش بالمغرب الأقصى، ونازع زعيمها السلطان فى الملک، وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعى الملک بالبرتغاليين، فأوعزت الدولة أو بالحرى (محمد باشا صقللى) لوالى طرابلس بانجاد سلطانها الشرعى فأسرع بمساعدته. والتقى الترک والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير، وكان يوما مشهودا دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم. وبعد تمام النصر وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع مراكش عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق عليها من الهدايا. وبذلک دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال أفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها. ولم يبق لها فى عصرنا هذا إلا ولاية طرابلس والسيادة الاسمية على مصر. واستولت فرانسا على تونس والجزائر، وصارت مراكش ميدان مسابقة لدسائس الأجانب تسعى كل دولة فى ازدياد نفوذها بها، وبعبارة أخرى لابتلاعها.

وفى غضون ذلک قتل الخليفةُ الصدرَ الأعظم (محمد باشا صقللى) الذى حافظ على نفوذ الدولة بعد موت (السلطان سليمان) وتمكن بسياسته ودهائه من إبرام الصلح مع دول أوروبا المعادية لها، وأنشأ عمارة بحرية بعد واقعة (ليبنته)، وفتحت جزيرة قبرص بتعليماته وإرشاداته، وكوفئ على خدماته الجليلة بالقتل لا لذنب جناه أو جناية ارتكبها، بل هى دسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الذين لا يروق فى أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال على محور الاستقامة، فدسوا إليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة. فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور.. فعين

أولا من يدعى (أحمد باشا) ثم عزل فى أغسطس سنة ٩٨٨ه وعين بعده (سنان باشا) أحد القواد المشهورين وأحد رؤساء الجيش المحارب فى بلاد (الكرج) وتولى قيادة هذا الجيش بعد موت قائده العام (مصطفى) الذى قيل إنه انتحر مسموما لعدم حصوله على منصب الصدارة ولكنه عزل من منصبه بعد قليل ونفى إلى خارج البلاد، وتولى مكانه (سياوس باشا) المجرى الأصل فى الصدارة العظمى، و(فرهاد) أو(فرحات باشا) أحد القواد العظام قائدا عاما للجيش المحارب فى (الكرج) ولم يأت هذا القائد بأعمال تذكر لعدم انقياد الانكشارية وامتثالهم لأوامر رؤسائهم، ثم صار (عثمان باشا) الصدر الأعظم.

فسار فى جيش (عرمرم) مؤلف من مائتين وستين ألف مقاتل، قاصدا بلاد (آذربيجان) فاخترقها بدون كثير مقاومة، ثم قصد مدينة (تبريز) عاصمة العجم فدخلها بعد أن انتصر على (حمزة ميرزا) وترك فيها حامية قوية. وبعد أن استمرت الحرب سجالا بين الدولتين نحو ست سنوات توفى فى خلالها الصدر الأعظم (عثمان باشا) سر عسكر الجيش تم الصلح والسكينة.

إلا أن هذه السكينة لم تكن لترضى الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب للنهب والسلب وارتكاب مالا خير فيه، فكانت إذا انقطعت الحروب تمردوا وارتكبوا هذه القبائح فى بلاد الدولة المعسكرين بها، بل وفى نفس الآستانة. فلما بلغهم أن المخابرات سائرة بين الدولة والعجم للوصول إلى الصلح ثاروا بالقسطنطينية، وطلبوا تسليم (الدفتر دار) ناظر المالية و(محمد باشا) بكلربك الرومللى لقتلهما، بدعوى أنهما أرادا أن يصرفا إليهم نقودا ناقصة العيار! وحاصروهما فى منزلهما إلى أن قتلوهما شر قتلة، ولم يقو السلطان على منعهم. وتمردوا مرة أخرى سنة ١٠٠١ه فى الآستانة وأخرى فى مدينة (بود) وقتلوا واليها،وفى القاهرة وفى التبريز مما يطول شرحه، ووصلت بهم القحة إلى آخرها. ولذلك أشار (سنان باشا) الذى أعيد إلى منصة الوزارة فى سنة ٩٩٧ه بأشغالهم بمحاربة بلاد المجر، وأوعز إلى (حسن باشا) والى بلاد البشناق (بوسنه) أن يجتاز حدود بلاد المجر إعلانا للحرب، لكن هل يرجى نجاح أو فلاح حقيقى من جيوش بلغ عندها عدم النظام الدرجة القصوى حتى استطالت لقتل الولاة وعزل الحكام؟

وفى هذه الأثناء ولى (فرهاد باشا) منصب الصدارة فى سنة ٩٩٩ه، ثم أعيد (سياوس باشا) ثالثا إليها سنة ١٠٠٠ه، ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفى مساء ٨ جمادى الأولى سنة ١٠٠٣ه وله من العمر خمسون سنة، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريباً. وكان كثير الميل لاقتناء الجوارى الحسان عاملا بمشورتهن، وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها قراصين البحر وبيعت فى السراى السلطانية وسميت (صفية)، اصطفاها السلطان لنفسه وتدخلت كثيرا فى السياسة الخارجية، وساعدت بلادها الأصلية كثيرا وهى والدة (السلطان محمد الثالث).

السلطان محمد خان الثالث

ولد هذا السلطان فى ٧ ذى القعدة سنة ٩٧٤ ه وتولى بعد موت أبيه (مراد الثالث) وهو ابن (صفية) الإيطالية الأصل، وكان له تسعة عشر أخا غير الأخوات فأمر بخنقهم قبل دفن أبيه، ودفنوا معا تجاه أياصوفيا.

وفى أوائل حكمه سار على أثر سلفه فى عدم الخروج إلى الحرب وترك أمور الداخلية فى أيدى وزرائه، الذين منهم (سنان باشا) و(جفالة زاده) وآخر يدعى (حسن باشا)، ففسدوا فى الأرض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية، وقللوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات، وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام (مخائيل الفلاخى)، فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية إقليم البغدان وجزءا عظيما من ترنسلفاليا، لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم.

وفى ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت فى بلاد (الأناطول) ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة، خصوصا ونيران الحروب مستعر لهيبها على حدود المجر والنمسا. وذلك أن فرقة من الجيوش المؤجرّة (يسمونها بالتركية علوفه جى) التى هى بالنسبة للإنكشارية كنسبة (الباشبوزق) للجيوش المنتظمة، لم تثبت فى واقعة (كرزت) بل ولّت الأدبار وركنت إلى الفرار فنفيت إلى ولايات آسيا وأطلق عليها اسم (فرارى) تحقيرا لهم وعبرة لغيرهم. وهناك اتّحد (قره يازيجى) مع أخيه المسمى (دلى حسن) والى بغداد، فاتبع

وسوسة أخيه وكفر بنعمة الدولة وجاهر بعصيانها.

فأرسل صقللى (حسن باشا) مع جيش جرار، لمحاربتهما وانتصر على (قره يازيجى) وألجأه إلى الاحتماء بجبال (جانق) على البحر الأسود حيث توفى من الجراح التى أصابته فى الحرب تاركا أخاه للأخذ بثأره. وفعلا فاز (الدلى حسن) على صقللى (حسن باشا) وقتله على أسوار مدينة (توقات)، ثم هزم ولاة دياربكر وحلب، ودمشق وحاصر مدينة (كوتاهية) فى سنة ۱۰۱۰ه، واستفحل أمره حتى خيفت العاقبة. ولما رأت الدولة تجسم هذه النازلة أخذت فى استعمال طرق السلم والتودد، فأجزلت إليه العطايا وأغدقت عليه الهبات، ثم عرضت عليه ولاية (بوسنه) فقبل بعد تعللات كثيرة ووضع السلاح.

وأعقبت هذه الثورة العظيمة ثورة أخرى فى نفس الآستانة كاد شرها يتعدى إلى نفس الخليفة، وذلك أن جنود السباه أى الخيالة طلبوا من الدولة أن تعوض عليهم ما فقدوه من ربع الإقطاعيات المعطاة لهم فى بلاد آسيا التى كانوا يسمونها (تمارا) بسبب فتنة (قرة يازيجى) و(دلى حسن) بآسيا الصغرى، ولما لم يكن فى وسع الدولة تلبية طلبهم لنقص دخلها هى أيضا بسبب هذه الفتنة، تمردوا وثاروا وطلبوا نهب ما فى المساجد من التحف الذهبية والفضية.

وفى هذه السنة توفى السلطان وكانت وفاته فى ۱۲ رجب سنة ۱۰۱۲ه وعمره ۳۷سنة ومدة حكمه تسع سنين وخلفه ابنه (أحمد الأول).

السلطان أحمد خان الأول

ولد هذا السلطان فى ۱۲ جمادى الثانية سنة ۹۹۸ه فتولى الملك ولم يتجاوز سنّه الرابعة عشر إلا بقليل ولم يؤمر بقتل أخيه (مصطفى) بل اكتفى بحجزه بين الخدم و الجوارى. وكانت أركان الدولة غير ثابتة فى كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقا والنمسا غربا، وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة فى هذه المرة لتولى (الشاه عباس) الشهير قيادتها. ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة اضطراب الأحوال فى الولايات الشرقية عموما وسعى كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على الاستقلال. وكان أهم رؤساء هذه الحركة رجلا كرديا لقب (بجان بولاد) لشدة بأسه وقوة إقدامه والأمير (فخر الدين الدرزى) وغيرهما.

وانتهز (الشاه عباس) هذه الفرصة لاسترجاع بلاد العراق العجمى التى أخذها العثمانيون، واحتل مدائن تبريز ووان وغيرهما.

ولمناسبة اضمحلال جيوش الدولة فى هذه الحروب، التى استمرت عدة سنوات متوالية وموت أهم قوادها خصوصا الصدر الأعظم (قويوجى) يوم ۵ أغسطس سنة ۱۰۲۰ه، تراسلت الدولتان على الصلح، وتم الأمر بينهما فى سنة ۱۰۲۱ه بمساعى (نصوح باشا) الذى تولى منصب الصدارة بعد موت (قويوجى مراد باشا) على أن تترك الدولة لمملكة العجم الأقاليم والبلدان والقلاع والحصون التى فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازى (سليمان الأول القانونى) بما فيها مدينة بغداد.

هذا ولو أن الحروب انقطعت على كافة حدود الدولة تقريباً، إلا أنه قد حصلت ما بين سنة ۱۰۲۰ه وسنة ۱۰۲۴ه بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة وسفن رهبان (مالطه) وملك اسبانيا وولايات إيطاليا، كان الفوز فيها غالبا لمراكب الأعداء. ولذلك أمر الصدر (نصوح باشا) بجمع جميع سفن الدولة فى مياه البحر الأبيض المتوسط لصد تعديات مراكب الإفرنج وحفظ طريق البحر بين الآستانة وولايات الغرب، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود، وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به. ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الأعظم، وسعى به بعض مبغضيه طمعا فى نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله فى ۱۴ أكتوبر سنة ۱۰۲۱ه فخنق فى قصره.

هذا وازدادت فى أيام (السلطان أحمد الأول) العلاقات السياسية مع دول الإفرنج، فجددت مع فرانسا العقود والعهود القديمة فى سنة ۱۰۱۴ه مع بعض زيادات طفيفة. وفى سنة ۱۰۱۹ه جددت مع مملكة بولونيا الاتفاقات التى أبرمت معها فى زمن (السلطان محمد الثالث) وأهم ما بها تعهد بولونيا بمنع قوزاق الروسية من الإغارة على إقليم البغدان وتعهد الدولة بمنع تتار القرم من التعدى على

حـدودها. وفی سـنة ۱۰۲۱ه تحصـلت ولایـات الفلمنـک علی امتیـازات تجاریـة تضـارع مـا منحته کـل من فرنسـا وإنکلـترا، وهـم (أی الفلمنک) الذین أدخلوا فی البلاد الإسـلامیة استعمال التبغ أی تدخین الدخان، فعارض المفتی فی استعماله وأصدر فتوی بمنعه، فهاج الجند واشترک معهم بعض مستخدمی السرای السلطانیة حتی اضطروه إلی إباحته.

وفی ۲۳ ذی القعدة سـنة ۱۰۲۶ه توفی السـلطان (أحمد الأول) وعمره ۲۸ سنة، ومدة حکمه ۱۴ سـنة تقریباً. ولصغر سن ولده (عثمان) الـذی کـان لم یتجـاوز ثلاث عشـرة سـنة من عمره خالف العادة المتبعـة من ابتـداء الغازی السـلطان (عثمان الأول)، أی تنصـیب أکبر الأولاد أو أحدهم مکان والده، وأوصی بالملک بعده لأخیه.

السلطان مصطفی خان الأول

ولد هذا السلطان سنة ۱۰۰۱ه وقضـی طول عمره داخل محلات الحرم، ولم یتعاطی أشـغالا مطلقا، بل ولم یعلم من أمور المملکة شـیئا کمـا کـانت عـادة بعض ملوک بنی عثمـان، وهی أن کـل سـلطان یتولی یـأمر بقتل أخوته أو یحجزهم فی السـرای کی لا یکون منهم منازع فی الملک.

ولم یلبث هذا السـلطان علی سـریر الملک إلا ثلاثة أشـهر تقریباً ثم عزله أرباب الغایات وفی مقدمتهم المفتی و(قیزلر أغاسی) أی آغا السـرای، وساعـدهم الانکشاریة علی ذلک لتوزیع الهبات علیهم عند تولیة کل ملک جدید. فعزل فی أول سـنة ۱۰۲۷ ه وأقاموا مکانه (السلطان عثمان الثانی) المولود فی غضون سنة ۱۰۱۳ه.

السلطان عثمان خان الثانی

هو ابن (السـلطان أحمـد الأـول) وأمر بإطلاق قنصل فرنسا وکاتبه ومترجمه، وأرسل منـدوبا لملک فرنسا (لویس الثالث عشـر) یسـمی (حسین جاووش) بجواب اعتذار عما حصل من الإهانة لسفیره، وبذلک انحسمت هذه المشکلة.

وحدث فی هذه الأثناء أن تدخلت بولونیا فی شؤون إمارة البغدان لمساعدة (جراسیانی) الذی عزل بناء علی مساعی (بتلن جابور) أمیر (ترنسـلفانیا)، وأضـیفت إمارته إلی (إسـکندر شـربان) أمیر الفلاخ وصارت الإمارتان تابعتین له، فاتخـذ (السـلطان عثمان) هذا التدخل سببا فی إشـهار الحرب علی مملکة بولونیا وتحقیق أمنیته، وهی فتح هذه المملکة وجعلها فاصـلا بین أملاک الدولة ومملکة (الروسیا) التی ابتدأت فی الظهور، وقبل الشروع فی الحرب أمر بقتل أخیه (محمد) تبعا للعادة، فقتل فی ۱۲ ینایر سنة ۱۰۳۱ه مأسوفاً علیه.

ثم أصدر أمرا بتقلیل اختصاصات المفتی ونزع ما کان له من السلطة فی تعیین وعزل الموظفین، وجعل وظیفته قاصرة علی الإفتاء، حتی یـأمن شـر دسائسه التی ربما تکون سـببا فی عزله کما کانت سـبب عزل سـلفه، لکن أتی الأمر علی الضـد بما کان یؤمل کما سـیجیء وبعد أن أتم هذه التمهیدات الداخلیة سیر الجیوش والکتائب لمحاربة مملکة بولونیا.

وتم الصـلح وأمضـی من الطرفین فی ۶ أکتوبر سـنة ۱۰۳۰ه، فحنق السـلطان علی الانکشاریـة من طلبهم الراحـة وخلودهم إلی الکسـل وإلزامه علی الصـلح مع بولونیا بـدون تتمیم قصـده أی ضـمها إلی أملاکه وعزم علی إبطالها وإفنائها عن آخرها. ولأجل التأهب لتنفیذ هـذا الأمر الخطیر أمر بحشـد جیوش جدیـدة فی ولایات آسـیا وتنظیمها وتـدریبها علی القتال، حتی إذا کملت عدة وعددا استـعان بها علی إبادة هـذه الفئـة الباغیـة. وشـرع فعلا فی إنفاذ هـذا المشـروع، لکن أحس الانکشاریة بذلک فهاجوا وتذمروا واتفقوا علی عزل السـلطان، وتم لهم ذلک فی یوم ۹ رجب سنة ۱۰۳۱ه وأعادوا مکانه (السـلطان مصطفی الأول)، ولم یکتفوا بعزله بل هجموا علیه فی سـرایة وانتهکوا حرمتها وقبضوا علیه بین جواریه وزوجاته، وقادوه قهرا إلی ثکناتهم موسعیه سبا وشتما وإهانة مما لم یسبق له مثیل فی تاریـخ الدولـة، وزیادة علی ذلک أنهم نقلوه من هناک إلی القلعـة المعروفـة بـذات السـبع قلل (یدی قله)، حیث کان بانتظاره کل ممن یـدعی (داود باشا) و(عمر باشا) الکیخیا و(قلندر أوغلی) وغیرهم، فأعدموا (السـلطان عثمان) الحیاة، ولم یتجاوز الثامنة عشـرة من

عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر.
وبعد ذلک صارت الحکومة ألعوبة فی أيدی الانكشارية، ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم، فعزلوا (داود باشا) قاتل السلطان بعد بضع أيام، وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزل إليهم العطايا فکانت الوظائف تباع جهارا، وارتكبوا أنواع المظالم فی القسطنطينية. ولما بلغ خبر قتل السلطان إلی الولاة وانتشرت بينهم أخبار الفوضی السائدة فی الآستانة، أشهر والی طرابلس الشام استقلاله وطرد الانکشارية من ولايته. واقتفی أثره والی (أرضروم) المدعو (أباظة باشا) مدعيا أنه يريد الانتقام (للسلطان عثمان) شهيد الانکشارية، وسار بمن تبعه إلی (سيواس) و(انقره) ففتحهما، مصادرا التزامات الانکشارية وإقطاعاتهم.. قاتلا کل من وقع فی مخالبه من هذه الفئة التی تلوثت بدم سلالة سلاطينهم، وتبعه والی سيواس وسنجق (قره شهر)، ثم سار إلی مدينة (بورصة) فحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أشهر إلا قلعتها فلم تسلم.
واستمرت الاضطرابات الداخلية فی نفس کرسی الخلافة، ولا أمن ولا سکينة مدة ثمانية عشر شهرا متوالية، حتی إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضی من الدمار والخراب، وشبع الانکشارية نهبا وسلبا وقتلا فی نفوس الأهالی وأموالهم، عينوا من يُدعی (کمانکش علی باشا) صدرا أعظم لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد، فأشار عليهم بعزل (السلطان مصطفی) ثانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه فی ۱۵ ذی القعدة سنة ۱۰۳۲ ه، وولوا مکانه (السلطان مراد الرابع)، وبقی فی العزل إلی أن توفی فی غضون سنة ۱۰۴۹ه.

السلطان مراد خان الرابع

هو ابن (السلطان أحمد الأول) ابن (السلطان محمد الثالث) ولد فی ۲۸ جمادی الأولی سنة ۱۰۱۸ه وولاه الانکشارية بعد عزل عمه (السلطان مصطفی الأول) ابن (السلطان محمد الثالث) مع حداثة سنّه، کی لا يکون معارضا لهم فی أعمالهم الاستبدادية، ولا مضعفا لنفوذهم الذی اکتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره، واستمروا مدة العشر سنين الأولی من حکمه علی غيهم وطغيانهم.
وانتهز (الشاه عباس) ملک العجم هذا الاختلال فرصة لاستعادة بلاده. وذلک أن رئيس الشرطة فی مدينة بغداد واسمه (بکيرآغا) ثار علی الوالی وقتله واستبد فی الأحکام فأرسلت له الدولة قائدا يدعی (حافظ باشا) حاربه وحصره فی دار السلام، فسولت (لبکير آغا) نفسه أن يخون الدولة وراسل (الشاه عباسا) وعرض عليه تسليم المدينة، فسار الشاه بجنوده لاحتلالها. وفی الوقت نفسه عرض (بکير آغا) علی القائد العثمانی أن يرد المدينة للعثمانيين لو أقرته الدولة علی ولايتها فقبل ذلک، واحتلتها الجنود قبل وصول شاه العجم، وهو لما وصلها حاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها. وفی هذه الأثناء کانت ثورات الجنود متتابعة بالأستانة، وفی کل مرة يطلبون قتل من يشاءون من رؤساء الحکومة المخالفين لهم فی الرأی، ولا يری السلطان مندوحة من إجابة طلباتهم إسکاتاً لهم وخوفا من أن يصل إليه أذاهم.
وفی غضون ذلک أصدر السلطان أمره بعزل (خسرو باشا) وإعادة (حافظ باشا) إلی منصب الصدارة، فسعی المعزول لدی الجند وأفهمهم أنه لم يعزل إلا لمساعدته لهم، فثاروا وأرسلوا إلی الآستانة يطلبون إرجاعه، ولما لم يجب السلطان طلبهم ساروا إلی القسطنطينية وقاموا بثورة عظيمة خيف منها علی حياة الملک، فإنهم دخلوا السرای السلطانية فی ۱۸رجب سنة ۱۰۴۱ه وقتلوا (حافظ باشا) رغما عن تدخل السلطان ومنعهم عنه. فاغتاظ السلطان وأمر بقتل (خسرو باشا) محرک هذه الفتنة، فقتل. وصار يأمر بقتل کل من ثبت عليه أقل اشتراک فی الحرکات الأخيرة. وبذلک داخلهم الرعب ووقعت مهابته فی قلوبهم، وخشيه الصغير والکبير، والأمير والحقير، وسار کل فی طريقه مکبا علی عمله بدون أن يأتی ما يکدر صفو کأس الراحة العمومية، وأمن الناس علی أموالهم وأعراضهم من التعدی، وسادت السکينة فی القسطنطينية وضواحيها وجميع أنحاء المملکة.
وکانت آخر ثورة للانکشارية فی آخر شوال سنة ۱۰۴۱ه. حرکها من يدعی (رجب باشا) لغاية فی النفس، فأمر السلطان بقتله وإلقاء جثته من شبابيک السرای حتی يراها المتجمهرون، فسکنت الخواطر ولم يحصل ما يعبث بالأمن بعد ذلک فی مدته.

ثم سار السلطان بنفسه إلى بلاد العجم لاسترجاع فتوحات (السلطان الغازى سليمان الأول القانونى) ففتح مدينة (اريوان) فى ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ه وأرسل السلطان رسولين إلى الآستانة لتزيين المدينة مدة سبعة أيام، وقتل أخويه (بايزيد) و(سليمان) لبلوغه عنهما ما كدر خاطره واتباعا للعادة المذمومة. ثم قصد بغداد واسترده من شاه ايران، ثم وصل خبر انتصار العجم على الجنود العثمانية إلى مسامع السلطان فأراد إذلالهم وكسر شوكتهم فسار بجيش عظيم كامل العدة والعدد إلى مدينة دار السلام و ابتداء حصارها بكيفية منتظمة فى ٨ رجب سنة ١٠٤٨ ه، وكان يشتغل بنفسه فى اعمال الحصار الشاقة تنشيطا للجند، وسلط على أسوارها المدافع الضخمة التى نقلها إليها، ولما فتحت المدافع فيها فتحة كافية للهجوم أصدر السلطان أوامره بذلك، فهجمت الجيوش فى صبيحة ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ه ولم يثنها قتل الصدر الأعظم (طيار محمد باشا)، الذى تولى بعد موت (بيرام محمد باشا) المتوفى فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٠٤٨ه بل استمرت الحرب ٤٨ ساعة متوالية ختمت بانتصار الجنود العثمانية، ودخولهم المدينة وإرجاعها إلى المملكة العثمانية، ولم تزل تابعة إليها حتى الآن.

وبعد ذلك رغب شاه العجم عدم استمرار القتال وعرض الصلح على الدولة بان يترك لها مدينة بغداد بشرط أن تترك هى إليه مدينة (اريوان)، ودارت المخابرات بين الدولتين عشرة أشهر كاملة. وفى ٢١ جمادى الأول سنة ١٠٤٩ه تم الصلح على ذلك وانقطعت أسباب العدوان من بينهما.

ثم توفى عن غير عقب فى ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ ه، وسنّه ٣١ سنة، ومدة حكمه ١٦ سنة و١١ شهرا، وتولى بعده أخوه (إبراهيم).

السلطان إبراهيم خان الأول

هو ابن (السلطان أحمد الأول) ولد فى ١٢ شوال سنة ١٠٢٤ ه افتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار إلى بلاد (القرم)لمحاربة (القوزاق) الذين احتلوا مدينة (آزاق) فحاربهم العثمانيون واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة ١٠٥١ه.

وأمر السلطان بتجهيز عمارة بحرية قوية لفتح جزيرة (كريد) لأهمية موقعها الجغرافى، وجهزت (الدونانمة) وسارت باحتفال زائد تحت قيادة من يدعى (يوسف باشا) إلى أن ألقت مراسيها أمام مدينة خانية أهم ثغور الجزيرة فى ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٠٥٥ ه. وافتتحها بدون حرب تقريباً لعدم وصول (الدونانمة))البندقية إليها فى الوقت المناسب، فانتقم (البنادقة) بحرق ثغور (بتراس وكورون ومودون) من بلاد (موره). ويقال: أن السلطان أراد فى مقابلة ذلك قتل المسيحيين أجمع، ولولا معارضة المفتى (أسعد زاده أبى سعيد أفندى) لتمّ هذا الأمر.

ثم إنّ (السلطان إبراهيم) أراد أن يفتك برؤوس الانكشارية فى ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم على أعماله ورغبتهم فى التداخل فى شؤون الدولة والخروج عن حدودهم. فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله، واجتمعوا بمسجد يقال له (أورطه جامع) وانضم إليهم بعض العلماء و(المفتى عبد الرحيم أفندى) وأهاجوا عساكر الانكشارية والسباه وقرر الجميع بعزله وتولية ابنه (محمد الرابع) المولود فى ٢٩ رمضان سنة ١٠٥١ه أى الذى لم يتم السابعة من عمره. وتمت هذه الثورة يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ه وبعد ذلك بعشرة أيام أظهر السباه عدم ارتياحهم من الملك الفتى، وطلبوا إعادة (السلطان إبراهيم) إلى عرش الخلافة فخشى، رؤساء العصابة التى عزلته من تغلب السباه وإرجاعه رغم أنفهم وصمموا على قتله، فساروا إلى السراى ومعهم الجلاد (قره على) وقتلوه خنقا كما قتلوا (السلطان عثمان الثانى) من قبله فكانت مدة حكمه ٨ سنين و٩ شهور، وسنّه ٣٤ سنة، وبذلك ارتاح خاطرهم واطمأن بالهم.

السلطان محمد خان الرابع

انفرد بالملك، ولصغر سنه وقعت المملكة فى الفوضى، وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا، وسعوا فى الأرض فسادا،

ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولى (السلطان مراد الرابع) بل إلى أتعس منها.

وسرى عدم النظام إلى الجنود المحاصرة (كنديا) بكيفية اضطر قائدهم (السر عسكر حسين باشا) لرفع الحصار عنها، وكذلك كان سريان هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية سبب انهزام (الدونانمه) العثمانية أمام (دونانمة) العدو أمام مدينة (فوقيه) سنة ۱۶۴۹ ه. ثم ثار بآسيا الصغرى فى هذه السنة أيضا رجل يدعى (قاطرجى أوغلى) وانضم إليه آخر يدعى (كورجى ينى) وهزما (أحمد باشا) والى الأناطول وسارا إلى القسطنطينية، ولولا-وقوع الشقاق بينهما لخيف على العاصمة من وقوعها فى قبضتهما، لكن وقع الخلف بينهما وافترقا فحاربهما الجند وهزم الثانى وقتل وأرسل رأسه إلى السلطان. وتمكن الآخر وهو (قاطرجى أوغلى) من الحصول على العفو عنه وتعيينه واليا (للقرمان) وبذلك انتهت هذه الثورة.

وبعد ذلك توالت الثورات تارة من الانكشارية، وطورا من السباه، وآونة من الأهالى لما يثقل عليهم نير استبداد الجنود، وتعاقب عزل وتنصيب الصدور بسرعة غريبة لم تسبق فى الدولة ولا فى أيام حكم (السلطان سليم) تبعا للأهواء والغايات، واختل النظام، أو بعبارة صريحة صار عدم النظام نظاما للدولة.

وفى هذه الأثناء تغلبت مراكب جمهورية البندقية على عمارة الدولة عند مدخل (الدردنيل)، واحتلت (تنيدوس) وجزيرة (لمنوس) وغيرهما. و منعت بذلك المراكب الحاملة للقمح وأصناف المأكولات عن الوصول إلى القسطنطينية من هذا الطريق حتى غلت جميع الأصناف، واستمر الحال على هذا المنوال ولا نظام ولا أمن ولا سكينة. ثم تولى منصب الصدارة (محمد باشا) الشهير ب (كوبرياى) فعامل الانكشارية معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا عندما ثاروا، كعادتهم لما رأوه رجلا خبيرا بدخائل الأمور قادرا على قمعهم وإلزامهم العود إلى السكينة، وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق (بطريرك الأروام) لما ثبت له تدخله فى الدسائس والفتن الداخلية.

ومما يؤثر عنه أنه استصدر أمرا من السلطان بمنع قتل سلفه، وكان قد أمر بقتله.

وتوفى (محمد باشا) بعد أن أوصى السلطان بتولية ابنه (أحمد) وخلفه ابنه (كوبريلى زاده أحمد باشا). واستمر على خطة أبيه من عدم التساهل مع الجندية ومجازات من يقع منه أقل أمر مخل بالنظام.

وفى زمانه استولى المسيحيون الفرنسيون على إقليمى الجزائر وتونس.

ثم تقلد منصب الصدارة بعد وفاته (قره مصطفى) ولم يكن كفؤاً للسير فى الطريق الذى رسمه (كوبريلى) الكبير وولده، بل اتبع مصلحته الذاتية وباع المناصب العالية والمعاهدات والامتيازات المجحفة بالدولة حالا واستقبالا بدراهم معدودة، وبسوء سياسته كدر خواطر (القوزق) وأبعدهم عن الدولة، ثم حصل قتال بينه وبين المسيحيين عند أسوار فيينا، وبعد أن استمر القتال طول النهار فاز المسيحيون بالنصر وانهزم (قره مصطفى باشا) وجيوشه أمامهم، تاركا كافة المدافع والذخائر والمؤن. فكان يوما مشهودا يجعل الولدان شيبا، ثم جمع (قره مصطفى باشا) ما بقى من جنوده ولمّ شعثهم على نهر (راب)، ومن هناك قفل راجعا إلى مدينة (بود) والملك (سوبيسكى) سائر خلفه، يقتل كل من يتخلف فى السير، وفتح مدينة (جران) بكل سهولة. ولما وصل خبر هذا الخذلان الذى لم يسبق لجيوش الدولة أمر (السلطان محمد الرابع) بقتل الصدر (قره مصطفى باشا)، وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القسطنطينية، وعين مكانه (إبراهيم باشا) سنة ۱۰۹۵ه.

وفى سنة ۱۰۹۶ه احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة (نوهزل) وبسبب هذه الانهزامات المتعاقبة عزل الصدر (إبراهيم باشا) ونفى فى جزيرة (رودس) ولم يلبث فى منصب الصدارة إلا سنتين، وتعين مكانه (السر عسكر سليمان باشا).

وكان أول أعمال (سليمان باشا) الإسراع إلى إنجاد مدينة (بود) التى كان يحاصرها (الدوك دى لورين) بتسعين ألف جندى لكن لم تجد مساعدته شيئا فان القائد المذكور دخلها عنوة فى يوم ۱۳شوال ۱۰۹۷ه، ولم تدخل هذه المدينة ثانيا فى حوزة العثمانيين إلى الآن.

وبعد سقوط هذه المدينة فى قبضة النمساويين ومحالفيهم أراد (الصدر سليمان باشا) أن يأتى عملا يكفر عنه عند الأمة ما أتاه من التهاون فى مساعدة مدينة (بود)، لكن أتاه الضرر من حيث كان يريد النفع لنفسه، فإنه جمع من بقايا كتائبه جيشا مؤلفا من ستين ألف مقاتل يعززهم سبعون مدفعا، فالتحم الجيشان فى ٣ شوال سنة ١٠٩٨ه وبعد قتال شديد دارت الدائرة على الجيوش العثمانية، فانهزموا عن آخرهم وأخذ العدو فى جمع ما معهم من المدافع والسلاح والمؤن والذخائر، واحتلت جيوشه إقليم (ترنسلفانيا) وعدة قلاع من (كرواسيه). ولما ذاع خبر هذا الانكسار بين الجيوش الموجودة بالأستانة هاجوا وماجوا وأرسلوا للجيوش الباقية مع (الصدر سليمان باشا) فاشهروا عليه العصيان، ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه الحياة.

ثم أرسل الانكشارية والسباه وفدا للآستانة يطلب من السلطان الأمر بقتل الصدر، فلم ير بدا من ذلك، وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند. ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل، قرر الوزير الثانى القائم مقام (قره مصطفى) باتحاده مع العلماء عزل (السلطان محمد الرابع) فعزلوه فى ٢ محرم سنة ١٠٩٩ه، بعد أن حكم أربعين سنة وخمسة أشهر، وبقى فى العزلة إلى أن توفى فى ٨ ربيع الآخر سنة ١١٠٤ه، بالغا من العمر ٥٣ سنة.

السلطان سليمان خان الثانى

هو ابن (السلطان إبراهيم الأول)، ولد فى ١٥ محرم سنة ١٠٥٢ ه جلس على كرسى الملك، فأغدق العطايا على الجنود ولم يعاقبهم على عصيانهم الذى كانت نتيجته عزل خلفه. ولذلك ما لبثت أن تمردت ثانيا وقتلت قوادها وحاصرت الصدر الجديد (سياوس باشا) فى سراية وقتلوه وسبوا أزواجه. فكانت الآستانة فوضى، وانتهز الأعداء هذه الاختلالات والاضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية، فاحتل النمساويون قلاع (ارلو) و(لبا) وغيرها، واحتل (موروزينى) البندقى مدينة (ليبه) من بلاد اليونان وكافة سواحل (دلماسيا) سنة ١٠٩٩ه، وفى السنة التالية أى سنة ١١٠٠ه سقطت مدائن (سمندريه) و(قلومباز) و(بلغراد) فى أيدى النمساويين، ثم فقدت الدولة العثمانية فى سنة ١١٠١ه مدائن (نيش وودين) من بلاد الصرب، وذلك لعدم كفاءة الصدر (مصطفى باشا) الذى خلف (سياوس باشا) قتيل الانكشارية. ولما رأى السلطان توالى المصائب عزل هذا الصدر وعين مكانه (كوبريلى مصطفى باشا) ابن (كوبريلى محمد باشا) الكبير، ولم يكن أضعف همة من والده بل كان يشبهه فى علو المكانة ومضاء العزيمة.

وبذلك أعاد (كوبريلى مصطفى باشا) بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكشارية.

وفى ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ه توفى (السلطان سليمان الثانى) عن غير عقب وعمره ٥٠ سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر.

السلطان أحمد خان الثانى

المولود فى ۶ ذى الحجة سنة ١٠٥٢ه، فأبقى الصدر الأعظم اعتمادا عليه فى الحرب والسلم. لكن لم تمهل المنية هذا الوزير الشهير، بل قصفت عوده الرطيب وهو فى عنفوان شبابه، فتوفى فى٢۴ ذى القعدة سنة ١١٠٢ه فى ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية القائد لها (لويز دى باد)، فكان موته ضربة على الدولة، لعدم كفاءة (عربه جى على باشا) الذى خلفه فى منصب الصدارة. ولم تحصل أمور ذات بال فى أيام هذا السلطان، بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الأهمية شأن، يذكر غير أن البنادقة احتلت فى سنة ١١٠۶ه جزيرة ساقز.

وتوفى فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠۶ ه وعمره ۵۴ سنة قمرية تقريباً، بعد أن حكم أربع سنين وثمانية أشهر.

السلطان مصطفى خان الثانى

ابن (السلطان محمد الرابع) المولود فى ٨ ذى القعدة سنة ١٠٧۴ه وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش، ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة

أيام رغبته فی قيادة الجيوش بنفسه، فسار إلى بلاد (بولينا) مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على (البولونيين) عدة مرات. ولولا ما لاقاه من الدفاع أمام مدينة لمبرج لتقدم كثيرا، لكن كان هذا الحصن المنيع من أكبر العوائق لاستمرار فتوحاته. ومن جهة أخرى حارب الروس واضطرهم لرفع الحصار عن مدينة أزاق ببلاد القرم التی حاصرها بطرس الأكبر.

ثم تقلد البرنس (أوجين دی سافوا) القائد الشهير قيادات الجيش النمساوی فأعمل الفكرة فی عدم ملاقاة الجيش العثمانی فی الأراضی السهلة، بل حاوله مدة بدون أن يمكن السلطان من مهاجمته، حتى فاجأه هو أثناء عبور الجنود العثمانية لنهر (تيس) وعدم استعدادها للدفاع بالقرب من قرية صغيرة اسمها (زينتا) فقتل منهم عددا عظيما من ضمنهم (الصدر الأعظم الماس محمد باشا) وغرق منهم فی النهر أكثر ممن قتل، ولولا وجود السلطان على الضفة الأخرى لسقط فی أيديهم أسيرا. وكان ذلك فی ۲۵ صفر سنة ۱۱۰۹ه ثم تبعهم (البرنس أوجين) ودخل بلاد البوسنة فاتحا. وعين بعد ذلك (عموجه زاده حسين باشا كوبريلی) صدرا أعظم.

وبعد مخابرة طويلة أمضيت بين الدولة والنمسا والروسيا والبندقة وبولونيا معاهدة (كارلوفتس) فی ۲۴ رجب سنة ۱۱۱۰ه، فتركت الدولة بلاد المجر بأجمعها وإقليم (ترنسلفانيا) لدولة النمسا، وتنازلت عن مدينة أزاق وفرضتها لروسيا، فصار لها بذلك يد على البحر الأسود، وزادت أهمية جوارها للدولة أضعاف ما كانت عليه من قبل، وردت لمملكة بولونيا مدينة (كامينك) وإقليمی (بودوليا) و(اوكروين)، وتنازلت للبندقية عن (بحيث) جزيرة مورا إلى نهر (هكساميلون) وإقليم (دلماسيا) على البحر (الادرياتيكی) بأجمعه تقريباً. واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة، وأن لا تدفع هی أو غيرها شيئا للدولة على سبيل الجزية أو مجرد الهدية. وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزءا ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول فی بلادها.

وقد عين السلطان للصدارة العظمى (رامی محمد باشا) فسار على أثر (كوبريلی حسين باشا)، وشرع فی إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم. فأهاج ضده أرباب الغايات، وكثير عدادهم، وأثاروا عليه الانكشارية لميلهم بالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتك الأعراض، فطلبوا عزله من السلطان فامتنع، وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت إلى الثائرين وعزلوا (السلطان مصطفى الثانی) فی ۲ ربيع الآخر سنة ۱۱۱۵ه بعد أن حكم ثمان سنوات وثمانية شهور.

وبقی معزولا إلى أن توفی فی ۲۲ شعبان من السنة المذكورة وعمره أربعون سنة تقريباً، وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه.

السلطان أحمد خان الثالث

ابن (السلطان الغازی محمد الرابع)، المولود فی ۳ رمضان سنة ۱۰۸۳ه، وعند تعيينه وزع أموالا طائلة على الانكشارية، وسلم لهم فی قتل المفتی (فيض الله أفندی) لمقاومته لهم فی أعمالهم. ثم لما قرت الأحوال وعادت السكينة اقتص من رؤوس الانكشارية فقتل منهم عددا ليس بقليل، وعزل فی ۶ رجب سنة ۱۱۱۵ ه الصدر الأعظم (نشانجی أحمد باشا) الذی انتخبه الانكشارية وقت ثورتهم، وعين فی هذه الوظيفة المهمة زوج أخته (داماد حسن باشا)، لكن لم تحمه مصاهرته للسلطان ولا ما أتاه من الأعمال النافعة، فأعملوا فكرهم وبذلوا جهدهم حتى تحصلوا على عزله فی ۲۸ جمادی الأولى ۱۱۱۶ه ومن بعده كثر تغيير الصدور تبعا للأهواء. وكانت نتيجة ذلك أن الدولة لم تلتفت لإجراءات بطرس الأكبر ملك الروسيا فی داخلية بلاده، ولم تدرك كنه سياسته الخارجية المبنية على إضعاف الدولة العثمانية وأنه قد ابتدأ فی تنفيذ مشروعه.

ثم عزل الوزير السابق وتولى بعده (بلطه جی محمد باشا) فأشهر الحرب على روسيا وقاد الجيوش بنفسه، وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مأتی ألف جندی قيصر الروسيا وخليلته (كاترينا)، ولو استمر عليهم الحصار قليلا لأخذ أسيرا هو ومن معه وانمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسی.

لكن استمالت (كاترينا) (بلطه جی محمد باشا) إليها، وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه.. مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة (فلكزن) المؤرخة ۹ جمادی الآخر سنة ۱۱۲۳ه الذی أخلى

بمقتضاها مدينة أزاق، وتعهد فيها بعدم التدخل فى شؤون القوزاق مطلقا.

ثم عزله السلطان، وتولى بعده (يوسف باشا)، وكان محبا للسلم، فامضى مع الروسيا معاهدة جديدة، تقضى بعدم المحاربة بينهما مدة ۲۵ سنة. لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام (بطرس الأكبر) بأحد شروط معاهدة (فلكزن) القاضى بتخريب فرضة (تجانزك) الواقعة على بحر آزاق، فتدخلت إنكلترا وهولاندا فى منع الحرب، لإضراره بتجارتهما. وبعد مخابرات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت (بمعاهدة أدرنة) فى ۲۴ جمادى الأولى سنة ۱۱۲۵ه تنازلت الروسيا بمقتضاها عما لها من الأراضى على البحر الأسود حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور.

ثم تولى منصب الصدارة (على باشا داماد) بعد (يوسف باشا) وكان ميالا للحرب.. غيورا على صالح الدولة.. ميالا لاسترجاع ما ضاع من أملاكها، خصوصا بلاد (موره). ولذلك أعلن الحرب على جمهورية البندقية، وفى قليل من الزمن استرد البحيث جزيرة بأجمعها والمدن التى كانت باقية للبنادقة بجزيرة (كريد)، حتى لم يبق لهم ببلاد اليونان إلا جزيرة (كورفو)، فاستعانت البندقية (بشارل الثالث) إمبراطور النمسا، أحد الماضين على معاهدة (كارلوفتس)، ولكون الحرب كانت قد انقضت ووضعت أوزارها بين النمسا وفرنسا، وتم الصلح بينهما بمعاهدتى (أوترك ورستاه)، أسرع الإمبراطور لمديد المساعدة إلى البنادقة، بأن أرسل إلى السلطان بلاغا يطلب منه فيه إرجاع كل ما أخذه من البنادقة وكان أعطى لهم بمقتضى معاهدة (كارلوفتس) وإلا فيكون امتناعه بمثابة إعلان للحرب، فلم تقبل الدولة هذا الطلب وفضلت الحرب. وعقب ذلك طلبت الروسيا من الدولة تحوير المعاهدة السابقة بكيفية تبيح لتجارها المرور من أراضى الدولة وبيع سلعهم فيها، ولحجاجها التوجه لبيت المقدس وغيره من الأماكن والأديرة المقدسة عندهم، بدون دفع خراج مدة إقامتهم أو رسوم على جوزات المرور، فقبلت الدولة.

ولما تولى (داماد ابراهيم باشا) منصب الصدارة سنة ۱۱۳۰ه أراد أن يستعيض عما فقدته الدولة من ولايات باحتلال ارمينيا وبلاد الكرج، لكن كان سبقه بطرس الاكبر واجتاز جبال القوقاز التى كانت تحد بلاده من جهة الجنوب واحتل اقليم طاغستان مع كافة سواحل بحر الخزر الغربية، فكادت الحرب أن تقع بين الدولة والروس.. ولوساطة السفير الفرنسى أمضيت معاهدة بين الطرفين بأن يمتلك كل منهما ما احتله من بلاد الفرس.

أما الفرس فلم يقبلوا بهذا التقسيم المزرى بشرفهم، والقاضى بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم، لكن لم يتمكنوا من صد هجمات العثمانيين الذين فتحوا سنة ۱۱۳۸ ه عدة مدن و قلاع، أهمها همدان واريوان وتبريز. وطلب (الشاه طهماسب) من الدولة أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده، فلم تجبه الدولة، ولذا أغار على بلادهم ولعدم ميل السلطان إلى الحرب ورغبته فى الصلح ثار الانكشارية وأهاجوا الأهالى، فأطاعوهم طلبا للسلب والنهب فى ۱۵ ربيع الأول ۱۱۴۳ه، وطلب زعيم هذه الثورة المدعو (بترونا خليل) من السلطان قتل الصدر الأعظم والمفتى و(قبودان باشا) أى أميرال الأساطيل البحرية بحجة أنهم مائلون لمسالمة العجم، فامتنع السلطان عن إجابة طلبهم. ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعا أو كرها، فخوفا من أن يتعدى أذاهم إلى شخصه سلم لهم بقتل الوزير و(الأميرال) دون المفتى، فقبلوا، وألقوا جثثهم إلى البحر. لكن لم يمنعهم انصياع السلطان لطلباتهم من التطاول إليه، بل جرأهم تساهله معهم على العصيان عليه جهارا، فأعلنوا بإسقاطه فى مساء اليوم المذكور عن منصة الأحكام، ونادوا بابن أخيه (السلطان محمود الأول) خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين، فأذعن (السلطان أحمد الثالث) وتنازل عن الملك بدون معارضة. وكانت مدة حكمه ۲۷ سنة و۱۱ شهراً، وبقى معزولا إلى أن توفى فى سنة ۱۱۴۹ه.

السلطان محمود خان الأول

هو ابن (السلطان مصطفى الثانى) ولد فى ۴ محرم سنة ۱۱۰۸ه، ولما تولى لم يكن له إلا الاسم فقط، وكان النفوذ ل (بطرونا خليل)، يولى من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والأغراض، حتى عيل صبر السلطان من استبداده، وتجمهر حوله رؤساء الانكشارية لتعدى

هـذا الزعيم على حقوقهم، واتفقوا على الغـدر به تخلصـا من شـره، فقتلوه. ولـم يقو محـازبوه على الأخـذ بثأره، بل اطفئت ثورتهم فى دمائهم. وبذلك عادت السكينة للمدينة، وأمن الناس على أموالهم وأرواحهم.

وبعد أن اسـتتب الأمن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس، وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود (الشاه طهماسب) فى عدة وقائع أهرقت فيها الـدماء مدرارا، فطلب الشاه الصـلح، وتم بين الدولتين الأمر فى ۱۲ رجب سنة ۱۱۴۴ه على أن تترك مملكـة العجم للدولة كل ما فتحته ما عـدا مدائن تبريز وأردهان وهمدان وباقى إقليم لورسـتان. لكن عارض (نادرخان) أكبر ولاة للدولة فى هذه المعاهدة، وسـار بجيوشه إلى مدينـة اصـفهان، وعزل (الشاه طهماسب) وولى مكانه ابنه القاصـر (عباساً الثالث)، وأقام نفسه وصـيا عليه. ثم قصـد البلاـد العثمانيـة، وبعـد أن انتصـر على جنود الدولـة حصـر مدينـة بغـداد، فأسـرع الوزير طوبـال أى الأعرج (عثمان باشا) إلى محاربته، وجرت بينهما عـدة وقائع قتل فيها (عثمان باشا) المـذكور، فطلبت الدولـة الصـلح. وبعـد مخابرات طويلـة اتفق مندوب الدولة مع (نادر خان) فى ۱۸ جمادى الأول سـنة ۱۱۴۹ه فى مدينـة (تفليس) حيث نـودى ب (نـادر خـان) ملكـا على العجم، على أن ترد الدولـة إلى العجم كل ما أخذته منها، وأن تكون حدود الدولتين كما تقرر بمعاهدة سنة ۱۰۴۹ه المبرمة فى زمن (السلطان الغازى مراد الرابع).

وهناك غلطـة أخرى ارتكبها رجال الدولـة، وهى نزع السـلطة فى إقليمى الفلاخ والبغدان من أشـراف البلاد خوفا من تمردهم وطلبهم الاسـتقلال، وتعيين بعض أغنياء الروم من تجار الآسـتانة قرالات ممتازين فيهما، فى مقابل جعل سـنوى يدفع للخزانة السلطانية، وكانت تعطى لمن يـدفع خراجا أكثر من غيره، وظاهر أن من يقـدم على التعهـد بمثل هذه المبالغ الطائلة عازم ولا شك على الحصول على ما يدفعه أضـعافا مضاعفة من دماء الأهالى. فاسـتبد هؤلاء المعينون بالسـكان وساموهم الذل والخسف، وفتكوا بالأشراف الأصليين وقتلوا كـل من خـالفهم منهم، وبـاعوا ألقاب الشـرف جهارا حتى انقرضت أغلب العائلات الأثيلـة فى المجـد، وحلت محلها عائلات جديـدة أغلبها من تجار الأروام الـذين اشتروا الألقاب بدراهم معدودة وكان نتيجة هذه السـياسة أن سـئم الأهالى هذه السـلطة، ومالوا بكلياتهم إلى الروسـيا، ووجهوا أنظارهم لها معتقدين أنها ستكون منقذتهم من هذه المظالم المستمرة، ولو أنصفت الدولة لجعلتها ولايتين بدون امتيازات تتناوبها الولاة، فما كانت تطمح إلى الاستقلال الإدارى، فالسياسى.

وفى يوم الجمعة ۲۷ صفر سنة ۱۱۶۸ه توفى (السلطان محمود الأول) بالغا من العمر ستين سنة، وكانت مدة حكمه ۲۵ سنة.

السلطان عثمان خان الثالث

ولد هذا السـلطان فى سـنة ۱۱۱۰ ه وبعـد أن تقلـد السـيف فى جـامع (أبى أيوب الأنصـارى) على حسب العـادة القديمـة وأبقى كبـار الموظفين فى وظائفهم، عين فى منصب الصـدارة العظمى (نشانجى على باشا) بـدل (محمـد سـعيد باشا) الـذى سـبق تعيينه صـدرا بعد عودته من مـأموريته فى فرنسـا. فأعتمـد (على باشـا) هـذا على ميـل السـلطان إليه، وسار فى طريق غير حميـد حتى أهاج ضـده الأهالى أجمع. ولكون السـلطان كان من عادته المرور ليلا فى الشوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية، والوقوف على حقيقة أحوالهم سمع أثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمغارم، وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه فى صـحن من الفضـة على باب السـراى عبرة لغيره، فقتل فى ۱۶ محرم سنة ۱۱۶۹ه وعين مكانه من يـدعى (مصـطفى باشا)، ثم عزله فى ۲۰ ربيع الأول سنة ۱۱۷۰ ه وعين مكـانه (محمـد راغب باشـا) الشـهير، وتوفى (السـلطان عثمان الثالث) فى ۱۷ صـفر سنة ۱۱۷۱ ه وكانت مـدة حكمه ۳ سنين و۱۱ شهرا، وعمره ستون سنة وخلفه (مصطفى الثالث).

السلطان مصطفى خان الثالث

ابن (السلطان أحمد الثالث) المولود سنة ۱۱۲۹ه، وكان ميالا للإصلاح، محبا لتقدم بلاده، خصوصا وزيره الأول (راغب باشا) الذى مر ذكره.

وأرادت الدولـة في زمـانه الحرب مع روسـيا وأوعزت إلى (كريم كراى) خـان القرم أن يفتـح بابا للحرب فصـدع بالأمر، ولكى يجعل الحق من جهة الدولة احتال على بعض القوزاق التابعين للروسـيا حتى أوقعهم في حبالة نصبها لهم، وأدت بهم إلى التعدى على حدود الدولـة والإغارة على إحـدى المـدن التابعة لها وقتل بعض سـكانها، فأشـهرت الدولة الحرب على الروسـيا. وافتتحها (كريم كراى) بأن أغار بخيله ورجله على إقليم (سـربيا) الجديدة الذى عمرته الروسـيا، مع أن المعاهدات التى بينها وبين الدولة كانت تقضى عليها بتركه صحراء بـدون اسـتعمار ليكون فاصـلا بين أملاـك الـدولتين، وعمرته الروسـيا لمنع وصول المساعـدة من خـان القرم إلى بولونيـا عند مسيس الحاجة.

وكانت نتيجة إغارة (كريم كراى) على هذه الولاية خراب كثير من المستعمرات الروسية وعودته بكثير من الأسرى.

ثم سار الوزير (نشانجى محمد أمين باشا) الذى تولى الصدارة في جمادى الآخر سنة ۱۱۸۲ه بجيوشه للدفاع عن مدينة (شوكزيم) التى حاصـرها (البرنس جالتسين) الروسى، فلم ينجح، لعدم اتباعه الأوامر العسكرية الواردة إليه من السلطان المهتم بنفسه بأمور الحرب، ولو لم يقـد الجيوش بذاته. وكان جزاء القائد المذكور أن قتل بأمر السـلطان في ۹ ربيع الآخر سنة ۱۱۸۳ه، وأرسل رأسه إلى الآستانة عبرة لغيره من القواد وعين مكانه في الوزارة والسـر عسـكرية (مولـدوانى على باشا)، وكان أشد اهتماما من سـلفه بأمور الجند وأكثر اطلاعا على ضروب القتال، لكن عاكسته الطبيعة وكانت هى السبب في تقهقره.

وبعـد هـذا الانهزام الـذى لم يكن فيه للروس من فخر، التزم (مولود وانى باشا) بالتقهقر بعـد اخلاء مدينـة (شوكزيم)، فدخلها (البرنس جالتسين) واحتل على الفور ولايتى (الفلاخ) و(البغدان).

وفى ذلك الوقت كان (على بيك) الملقب ب(شـيخ البلد) الذى اسـتقل تقريباً بشؤون مصر. وفتح بمساعدة قائد الدونمانة الروسية في البحر الابـيض مـدائن غزة ونـابلس واورشـليم ويافـا ودمشق. وكـان يسـتعد للسـير إلى حـدود بلاد الاناطول إذ ثار عليه أحـد بيكاوات المماليـك، وهو (محمـد بيـك) الشـهير ب (أبى الـذهب)، فعاد (على بيك) إلى مصـر لمحاربته وانضم إلى جيوشه أربعمائـة جنـدى روسى فقابلهم (أبو الذهب) عند الصالحية بالشرفية وفاز عليهم بالنصر، وأسر (على بيك) واربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم ورجع إلى مصـر، حيث توفى (على بيك) مما أصابه من الجراح، فقطع رأسه وسـلم مع الأربعة ضـباط الروسيين إلى الوالى العثمانى (خليل باشا) وهو أرسلهم إلى القسطنطينية.

ثم توفى (السلطان مصطفى الثالث) في ۸ ذى القعدة سنة ۱۱۸۷ه، وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور.

السلطان عبد الحميد خان الأول

ابن (السـلطان أحمد الثالث) ولد سنة ۱۱۳۷ه، وقضـى مدة حكم أخيه (مصـطفى الثالث) محجوزا في سرايته كما جرت به العادة. وفى اليوم الثالث من توليته توجه في موكب حافل إلى جامع (أبى أيوب) لتقلد سيف (السلطان عثمان) مؤسس هذه الدولة، ولم يوزع على الجنود الانعامـات المعتـادة، لنضوب خزائن الدولـة التى اسـتنزفتها الحرب الأـخيرة. ثم أقر الصـدر الأـعظم (محسن زاده) وأغلب كبار الموظفين والقواد البرية والبحرية في مناصبهم لعدم وقوع الخلل في الأعمال.

ثم وقعت الحرب بين الدولـة وبين روسـيا، انتهت بهزيمة العثمانيين وطلب الصدر الأعظم المهادنة وقبل المعاهدة التى تم الاتفاق عليها في سنة ۱۱۳۷ ه وهى مكونة من ثمانية وعشـرين بنداً. أضـيف إلى هذه المعاهدة بندان سـريّان، إحداهما تتضمن المصاريف الحربية، وذلك لأن الدولة كانت تعهدت بتأدية خمسة عشـر ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين، يدفع منها في كل سنة قسط، وهو خمسة آلاـف كيس. والمادة الثانيـة سـرعة تخليـة جزائر البحر الأبيض تأييـدا لما هو مـذكور في المادة السابعـة عشـرة من العهـدة المـذكورة وأسـطول روسـيا الموجود في البحر الأبيض، وإن كان مشترطا في المادة المـذكورة أنه يخرج في مـدة ثلاثـة أشـهر، فدولـة روسـيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن، وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانيها.

وتوفى (السلطان عبد الحميد الأول) فى ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ه، بالغا من العمر ۶۶ سنة، ومدة حكمه ١٥ سنة وثمانية شهور، وتولى بعده (سليم الثالث).

السلطان سليم خان الثالث

السلطان سليم خان الثالث

ابن (السلطان مصطفى الثالث)، المولود سنة ١١٧٥ه، تولى وجو السياسة مكفهر ورحى الحرب دائرة بلا انقطاع، فبذل جهده فى تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر، لكن كان اليأس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم.

وفى هذه السنة اتحد القائد الروسى مع قائد الجيوش النمساوية فى الأعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما، فاستظهرا على العثمانيين فى سنة ١٢٠٣ ه وكانت عاقبة ذلك أن استولى الروس على مدينة بندر (الحصينة) واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا، ودخل النمساويون مدينة بلغراد، وفتحوا بلاد الصرب.

وبعد تمام الصلح مع النمسا والروسيا أخذت الدولة فى إصلاح داخليتها وخصوصا العسكرية والبحرية، فعين أحد المتقربين من الذات السلطانية واسمه (كوشك حسين باشا) قبودانا عاما. فوضع نظاما للجنود المشاة، وشرع فى تنسيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الأوروبى، فأنشأ أول فرقة منتظمة فى سنة ١٢١١ه وجعل عددها ١۶٠٠ جندى تحت قيادة ضابط إنكليزى دخل فى الدين الإسلامى وسمى (إنكليز مصطفى). وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الانكشارية الذين صاروا علة على الدولة ومن عوامل تأخرها بعد أن كانوا أهم عوامل تقدمها وقت الفتوحات المستمرة التى كانوا يعودون منها بكثير من الغنائم، حتى اعتادوا النهب. وصاروا لما لم يجدوا بلادا مفتتحة حديثا لسلب أهاليها يعتدون على أهالى الآستانة والعواصم الأخرى بالسلب والنهب وغير ذلك، فضلا عن عصيانهم المرة بعد الأخرى، وعزلهم الصدور والوزراء، وتعديهم على السلاطين بالعزل أو القتل لما يرون منهم معارضا لفسادهم أو ضعفا فى معاقبتهم.

وظهرت فى هذه الأثناء فتنة (عثمان باشا) والى (ودين) الملقب ب (بازوند أوغلى) وانضمام كثير من أهالى الصرب اليه واستظهاره على جنود الدولة التى أرسلت لأقماعه. وأخيرا سافر إليه (كوجك حسين باشا) بنفسه، وبعد عدة مناوشات كان الحرب فيها سجالا بينهما خشى هذا الوزير من دسائس أرباب الغايات أن تعصى كافة ايالات البلقان، فتدارك الأمر ومنح (بازونداوغلى) ولاية (ودين) طول حياته، وبذلك حسمت الفتنة سنة ١٢١٢ه.

دخول الفرنسيين مصر

وفى سنة ١٢١٣ه أمرت الجمهورية الفرنساوية (بونابرت) القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب على الدولة وأوصته بكتمان هذا الأمر حتى لا تعلم به إنكلترا فتسعى فى إحباطه، مع أن القصد منه لم يكن الا منع مرور تجارة الإنكليز من مصر إلى الهند وبالعكس. فجهز فى مدينة طولون جيشا مؤلفا من ٣۶ ألف مقاتل أغلبهم من العساكر المدربين فى الحروب التى جرت بين فرنسا وإيطاليا وانتهت بمعاهدة (كامبوفورميو) وعشرة آلاف بحرى تحملهم دونانمة مركبة من ٣٠ سفينة حربية و٧٢ قراويت و۴٠٠ مركب حمل، وأضاف إلى جيشه ١٢٢ عالما على اختلاف العلوم والمعارف لدرس القطر المصرى والبحث عما يلزم لإصلاحه واستغلاله.

وفى مايو سنة ١٢١٣ه، رحل (بونابرت) بهذا الجيش بدون أن يعلم أحدا بوجهته، فوصل جزيرة (مالطه) فى ١٠ يونيو واحتلها بعد أن دافع من فيها من رهبان القديس (حنا الاورشليمى)، وفى ١٧ محرم سنة ١٢١٣ه وصل أمام مدينة الإسكندرية وأنزل عساكره على بعد أربع فراسخ منها، وبعد أن دخلها عنوة ترك بها القائد (كليبر)، وسار هو قاصدا مدينة القاهرة عن طريق الصحراء الممتدة غرب فرع

رشيد، فقابله (مراد بيك) بشرذمة من المماليك عند مدينة شبراخيت بالبحيرة فى ۲۹ محرم، فهزمه (بونابرت)، وواصل السير حتى وصل إلى مدينة (انبابة) مقابل القاهرة وحصلت بينه وبين (إبراهيم بيك) و(مراد بيك) أمراء المماليك واقعة الأهرام الشهيرة فى ۷ صفر وتقهقروا أمام المدافع الفرنساوية، فدخل (بونابرت) وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها أنه لم يأت لفتح مصر بل انه حليف الباب العالى، أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره، كما قال الإنكليز عند دخولهم مصر سنة ۱۲۹۹ه.

وبذلك صار القطر المصرى من البحر الأبيض المتوسط إلى أقاصى الصعيد فى قبضته. ثم أسس المجلس العلمى للبحث عما يجعل احتلاله بوادى النيل دائميا.

وتحقق (نابليون) أنه إن لم يفاجئ الدولة فى بلاد الشام قبل أن تتم استعداداتها الحربية تكون عواقب الحرب وخيمة عليه، وان من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السورى. فلهذه الدواعى عزم (بونابرت) على فتح بلاد الشام، وقام من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصدا بلاد الشام من طريق العريش فاحتلها فى أواخر شعبان سنة ۱۲۱۳ه، ثم دخل مدينة غزة فى ۱۹ رمضان وارتحل عنها فى ۲۳ منه ووصل الرملة فى ۲۵ منه ومنها إلى يافة فوصلها فى ستة وعشرين رمضان، ولما آنس منها المقاومة حاصرها ودخلها عنوة فى يوم أول شوال، ثم رحل منها قاصدا مدينة عكا، وقبل مزاولته ليافا ارتكب أمرا شنيعا لم يسبق فى التاريخ وهو أمره بقتل جميع الجرحى والمرضى من عساكره حتى لا يعوقوه فى سيره، ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر وهاجمها مرارا.

ونزل جيش رودس العثمانى بأبى قير وتحصن بها وكان يبلغ عدده ۱۸ ألف مقاتل فسار (بونابرت) من القاهرة لمحاربتهم فتغلب عليهم والتجأ من لم يقتل منهم إلى المراكب فى ۲۴ صفر سنة ۱۲۱۴ه وأسر قائدهم الأكبر (مصطفى باشا) وكثيرا من الجنود.

ولنرجع إلى ذكر علاقات الباب العالى وفرنسا والروسيا وانكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر فنقول:

إن (بونابرت) أرسل إلى بلاد الشرق الجنرال (سبستيانى) لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة، فسافر إلى الآستانة حاملا خطابا من (بونابرت) إلى السدة السلطانية، وفى أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميرى الأفلاق والبغدان المنحازين لروسيا فعزلا فى ۵ جمادى الثانى سنة ۱۲۲۱ه وعيّن بدلهما من المخلصين للدولة فساء ذلك الروسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا فى الشرق، فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب، بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها، فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت إنكلترا مع الروسيا فى هذه الحرب لتأييد طلباتها، فأرسلت إحدى دونانماتها تحت قيادة اللورد (دوق وورث) أمام الدردنيل، وأرسل سفيرها السير (اربوثنوت) بلاغا إلى الباب العالى يطلب منه تحالف الدولة وإنكلترا، وتسليم الأساطيل العثمانية وقلاع الدردانيل إلى انكلترا، والتنازل عن ولايتى الأفلاق والبغدان إلى الروسيا، وطرد الجنرال (سبستيانى) من الآستانة، وإعلان الحرب على فرنسا، والا تكن إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على الآستانة. فلم تقبل الدولة هذه المطالب بل أخذت فى تحصين البوغار وإقامة القلاع على ضفتيه. لكن لم يكن الوقت كافيا لتحصينه بكيفية تجعل المرور منه غير ممكن، وفى ۱۲ ذى الحجة الحرام سنة ۱۲۲۱ه قرن الإنكليز القول بالفعل، واجتاز الأميرال اللورد (دوك وورث) بوغاز الدردنيل بدون أن يحصل لمراكبه ضرر يذكر من مقذوفات القلاع، ووصل إلى فرضة (جاليبولى) ودمر كافة لسفن الحربية العثمانية الراسية بها، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التى سبق ذكرها.

وبورود الخبر إلى الدولة بذلك وقع الرعب فى قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملوكية ودواوين الحكومة على ضفتيه. ووقع الوزراء فى حيص بيص فأقروا بعد مداولات طويلة أن يذعنوا لطلب إنكلترا وأرسلوا إلى الجنرال (سبستيانى) يدعونه للخروج من الآستانة خوفا من تفاقم الخطب، فقابل الفرنساوى الرسول العثمانى محاطا بجميع مستخدمى السفارة والضباط الفرنساويين المستخدمين بجيوش الدولة وبحريتها، وأجابه قائلا إنى لا أخرج من الآستانة الا ـ مكرها، ثم طلب أن يقابل السلطان مقابلة خصوصية فأجيب طلبه. ولما قابله أظهر له استعداد فرنسا لمساعدة الدولة، وأن (الإمبراطور نابليون) قد أصدر أوامره إلى جيوشه المعسكرة بسواحل الادرياتيك للسفر إلى الآستانة لمساعدة الدولة على

مقاومة إنكلترا ورفض طلباتها، فاقتنع جلالته بعدم جوار الانصياع لطلبات الإنكليز، وإنها لو رأت من الدولة مقاومة أذعنت هى لسحب مطالبها خوفا على تجارتها من البوار لو صدرت الأوامر بعدم قبولها فى الممالك المحروسة. فأخذ فى تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة، و شكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة من مأتى مقاتل أغلبهم من المدفعية، وكذلك الاسبانيون لمضادة سفيرهم المركيز (دالمنيرا) لسياسة إنكلترا فى الشرق. واهتم كل من فى الآستانة فى هذا العمل الوطنى حتى الشيوخ والأطفال والنساء وبذل الانكشارية من الاهتمام اكثر مما كان يؤمل منهم. وكان السلطان بنفسه يناظر الأشغال ويحث المشتغلين بها على مواصلة الليل بالنهار لإتمام القلاع لصد هجمات الأعداء. فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة فى مأمن من كل طارئ، ووقفت عدة سفن فى مدخل البوسفور لمنع كل مهاجم، مع استمرار الأشغال فى (بوغاز الدردنيل).

فلما رأى الأميرال الإنكليزى استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل، خشى من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا إلى البحر الأبيض.

وفى غضون ذلك اتحد المفتى (قاضى عسكر الروملى) مع قائم مقام الصدر الأعظم ولفيف من العلماء عل السعى فى إبطال التزام العسكرى الجديد الذى ادخله السلطان فى الجيوش العثمانية قائلين إنه بدعة مخالفة للشرع. وللوصول إلى غايتهم هذه أخذوا يغرون العساكر غير المنتظمة التى كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة. وبعد هذا أخذت الجنود غير منتظمة تستعد بايعاز مهيجيها.. وانتخبوا لهم رئيسا منهم اسمه (قباقجى أوغلى) وهو أخذ فى الاستعداد للدخول إلى الآستانة. وفى صبيحة يوم ۲۷ مايو سنة ۱۸۰۷ه دخل هو ومن معه من الجنود غير المنتظمة، وانضم إليهم نحو مأتين من البحرية وثمانمائة من الانكشارية، حتى إذا وصل هذا الجمع إلى المحل المعروف باسم (آت ميدان) أتوا بقدور الانكشارية وصفوها علامة على العصيان وقرء عليهم أسماء جميع المعضدين لمشروع النظام العسكرى من الوزراء أو الذوات والأعيان، فانتشر الثائرون إلى منازلهم وقتلوهم وأتوا برؤوسهم ووضعوها أمام القدور.

ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بإلغاء النظام الجديد، وصرف العساكر النظامية لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السلطان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه، وساعدهم على ذلك المفتى الذى هو فى الحقيقة المحرك لهذه الثورة فأفتى بأن: كل سلطان يدخل نظامات الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحا للملك. واستمرت هذه الثورة يومين ثم أدت فى ۲۱ ربيع الآخر سنة ۱۲۲۲ه بفصل (السلطان سليم الثالث)، فعزل. وكانت مدة حكمه ۱۹ سنة، وبقى إلى أن توفى فى ۴ جمادى الأولى سنة ۱۲۲۳ه وعمره ۴۸ سنة تقريباً وأقيم بعده (مصطفى الرابع).

السلطان مصطفى خان الرابع

ابن (السلطان عبد الحميد الأول) المولود سنة ۱۱۹۳ ه، وكلف المفتى بتبليغ (السلطان سليم) خبر عزله، فذهب إليه وبلغه ذلك مظهراً أسفه من هذه الحادثة الجبرية، فقبل السلطان وذهب إلى سرايه الخصوصية وتفرق الجنود النظامية شذر ومذر.

ولم يكن (السلطان مصطفى) الا كآلة يديرها مبغضوا النظام الجديد كيف شاءوا تبعا لأهوائهم، فثبت الوزراء الذين لم يقتلوا فى الثورة فى وظائفهم واعتمد تعين (قباقجى أوغلى) حاكما لجميع قلاع البوسفور.

ولما وصلت أنباء هذه الثورة إلى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس عند نهر الطونة شمل الانكشارية السرور، ولما رأوا من قائدهم العام وهو الصدر الأعظم (حلمى إبراهيم باشا) عدم الاستحسان لما حصل قتلوه، وأقاموا مكانه (جلبى مصطفى باشا) فوقع الفشل فى الجيوش. ولولا وجود أغلب جيوش الروسيا فى ألمانيا لمحاربة الإمبراطور (نابليون) الذى كانت تخر عروش الملوك أمامه، لكانت نتائج هذه الحروب أوخم مما سبقها.

وفى أثناء ذلك وصل خبر انتصار (نابليون) على الروس ومحالفيهم. وعقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا والروسيا بمقتضى معاهدة (تلسيت). وجاء فى المعاهدة السرية التى اتفق عليها (نابليون) و(اسكندر الاول) قيصر روسيا إن لم يقبل الباب العالى توسط فرنسا

بكيفية مرضية، بعد قبول هذه التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتّحد فرنسا مع روسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير، وكيفية ذلك التقسيم أن يكون لفرنسا بلاد بوسنه وألبانيا (الارنؤود) و(أبيروس) وبلاد اليونان ومقدونيا، وللنمسا بلاد الصرب، ولروسيا الافلاق والبغدان والبلغار وإقليم تراس لغاية نهر ماريتسا.

ولنرجع إلى ذكر ما حصل فى الآستانة بعد نجاح ثورة (قباقجى أوغلى) فنقول: إنه لم يمض قليل حتى وقع الخلاف بين رؤساء الثورة، فاتحد أولا ـ (قباقجى أوغلى) مع المفتى على عزل القائم مقام (مصطفى باشا)، فعزل وأبعد إلى خارج البلاد وأقيم مكانه من يدعى (طاهر باشا)، ثم عزل لرغبة المحافظة على حقوق وظيفته وسافر إلى روستجق والتجأ إلى حاكمها (مصطفى باشا البيرقدار). وكان هذا الأخير من محازبى (السلطان سليم) ويود إرجاعه لمنصة الأحكام، فكاشف بذلك (جلبى مصطفى باشا) الصدر الأعظم وباقى الوزراء وأقنعهم بوجوب مجازاة المفتى و(قباقجى مصطفى) على تهييج الجنود غير المنتظمة وعزل السلطان والاستئثار بالسلطة، فوافقه على هذا الأمر كل من كاشفهم به وأصدر الصدر حكما على (قباقجى مصطفى) قاضيا بإعدامه ووكل على تنفيذه أحد رجال المؤامرة واسمه (حاجى على) وهو تعهد بالقبض عليه عنوة، وسار إلى الآستانة فى مائة فارس، بينما كان البيرقدار قاصدها فى ستة عشر ألف جندى عن طريق أدرنه، ولما وصل (حاجى) إلى ضواحى الآستانة علم أن (قباقجى مصطفى) مقيم فى قصر له خارج المدينة، فهاجمه وقتله، ثم أبرز لجنوده حكم الصدر الأعظم وأخبرهم أنه عين قائدا لهم، فلم يقبلوا بذلك بل أحاطوا به وبمن معه من الفرسان، وكادوا يأسرونه لولا ما أظهره من الشجاعة التى تمكن بها من التخلص واللحاق بالبيرقدار، وكان قد وصل هو والصدر الأعظم إلى الآستانة وعسكر خارجها.

ولما علم السلطان بهذه الوقائع خشى من تعدى الثورة عليه ووصول ضررها إليه، وأمر بعزل المفتى وصرف جنود (قباقجى مصطفى) غير المنتظمة التى عضدته على عزل (السلطان سليم)، فأظهر البيرقدار الاكتفاء بما حصل ولم يكاشف أحدا بعزمه على إعادة (السلطان سليم) إلى عرش الخلافة العظمى وأشاع أنه عازم على العودة إلى (روستجق)، لكن فى صبيحة ۴ جمادى الأولى سنة ۱۲۲۳ه ألقى القبض على (شلبى مصطفى باشا) الصدر الأعظم، وسار بجيوشه إلى السراى السلطانية، وطلب إرجاع (السلطان سليم الثالث) إلى الملك، فأمر (السلطان مصطفى) بقتله وإلقاء جثته إلى الثائرين كى يكفوا عن الثورة لما يعلمون أن الذى يريدون إرجاعه قد دخل فى خبر كان لكن أتى الأمر على عكس ما كان يؤمل، فقد زاد الثائرون هياجا ونادوا على الفور بعزل (السلطان مصطفى الرابع) وحجزه فى نفس السراى التى كان محجوزا بها (السلطان سليم) فعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا، وقتل فى سرايه بعد ذلك بقليل، وأقيم بعده (محمود الثانى).

السلطان محمود خان الثانى

ابن (السلطان عبد الحميد الأول)، ولد فى ۱۳ رمضان سنة ۱۱۹۹ه، وافتتح أعماله بأن قلد (مصطفى باشا) البيرقدار منصب الصدارة العظمى، ووكل إليه أمر تنظيم الانكشارية وإجبارهم على اتباع نظاماتهم القديمة المسنونة من عهد (السلطان سليمان القانونى) وأهملت شيئا فشيئا بعد ان انتقم البيرقدار ممن قاوموه عند إرجاع (السلطان سليم) وكانوا سبباً فى قتله.

ثم لم يمض قليل حتى سار الانكشارية إلى فيلبيه وأظهروا التمرد والعصيان، فأرسل البيرقدار اثنى عشر ألف مقاتل من جيوشه لمحاربتهم ولم يبق إلا أربعة آلاف والثلاثة آلاف القائد لهم (عبد الرحمن باشا). ولذلك انتهز الانكشارية هذه الفرصة وقاموا كرجل واحد فى ۲۷ رمضان سنة ۱۲۲۳ه وساروا إلى سراى (السلطان مصطفى) بقصد إرجاعه إلى عرش الحكومة، فأعترضهم البيرقدار وقاومهم مقاومة عنيفة، ولما أحس بأن الضعف قد داخل جيوشه وخشى من فوز الثائرين وعزل (السلطان محمود) أمر بقتل (مصطفى الرابع) وإلقاء جثته للثائرين كما فعل (مصطفى الرابع) مع (السلطان سليم الثالث). فلما رأى الانكشارية جثة (السلطان مصطفى) زادوا هياجا وأضرموا النار فى السراى الملوكية لكى يلجئوا البيرقدار على الفرار منها لكن فضّل الصدر الأعظم الموت على التسليم لهذه

الفئة والانصياع لطلباتها، وبقى يدافع هو و من معه حتى مات حرقا.
وسارت جيوش السلطان فى صبيحة اليوم التالى تتقدمها المدافع تقذف الصواعق على الانكشارية من كل صوب وحدب، ولما رأى الثائرون أن لا مناص لهم من الهلاک أضرموا النار فى جميع جوانب المدينة، ولما كانت أغلب أماكنها من الخشب علا لهيب النيران وكاد الحريق يلتهمها بأجمعها، فاضطر السلطان للإذعان لطلبات الانكشارية حتى يمكنه إنقاذ المدينة من الدمار العاجل، مؤجلا إبطال هذه الفئة المفسدة إلى فرصة أخرى، وبذل جهده فى إخماده النيران التى كادت تلتهم المدينة بأسرها لولم يتداركها (السلطان محمود) بحكمته، واستمر الانكشارية فى ثورتهم وهيجانهم. واستولى الروس على مدائن (إسماعيل) و(سلستريه) و(روستجق) و(نيكوبلى) و(بازارجق) فى سنتى ۱۲۲۴ه و۱۲۲۵ه.

الوهابيون ومذهبهم

الوهابيون ومذهبهم

الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة (عبد الوهاب)، وبعد أن درس (محمد عبد الوهاب) مذهب (أبى حنيفة) سافر إلى اصفهان ولاذ بعلمائها وأخذ عنهم ثم عاد إلى بلاده فى سنة ۱۱۷۱ه فأخذ يقرر مذهب (أبى حنيفة) مدة، فأنشأ مذهبا مستقلا لتلامذته فأتبعوه وأكبوا عليه، وشاع أمره فى نجد والإحساء والقطيف و[بعض] بلاد العرب مثل عمان وبنى عتبة من أرض اليمن. إلى أن قيض الله لهم عزيز مصر (محمد على باشا) فأطفأ سراجهم فى سنة ۱۲۳۲ه وكسر شوكتهم وأخفى ذكرهم.
ولما رأى (السلطان محمود) أنّه من الضرورى قمع هذه الفئة التى يخشى من امتدادها على تفريق كلمة الإسلام، الأمر الذى جعله الأوروبيون مطمح أنظارهم للتمكن من فصم عرى اتحادهم وامتلاک بلادهم، ولبعد ولايات الشام وبغداد عن مركز الفتنة كلف (محمد على باشا) والى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها، واسترجاع مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدى زعمائها، وأرسل إليه فرمانا بذلک فى ذى القعدة سنة ۱۲۲۲ه. ولما كان إرسال الجيوش إلى بلاد العرب عن طريق البر أمرا متعسرا إن لم يكن مستحيلا لانتشار الوهابيين فى جميع الطرق وقطعهم المواصلات، عزم (محمد على باشا) على إرسالهم بطريق البحر الأحمر، فأمر بإنشاء السفن فى السويس لنقل الجنود إلى فرضة ينبع ولما استعدت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب أعد حفلة فى القلعة فى يوم الجمعة ۵ صفر سنة ۱۲۲۶ه لتسليم ولده (طوسى باشا) الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع إرساله إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين.
وبعد ذلک سافر (طوسن باشا) بجيوشه إلى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص المدينة المنورة وكتب لوالده بذلک. ثم حصره الوهابيون فى مدينة الطائف فسافر (محمد على باشا) إلى مدينة مكة فى ۲۸ شعبان سنة ۱۲۲۸ه وقبض على (الشريف غالب) شريف مكة المكرمة، وأرسله إلى مصر وأقام مكانه (الشريف يحيى ابن سرور) واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز الوهابيين، فتضعضع حالهم خصوصا وقد توفى زعيمهم (سعود) فى ۱۹ ربيع الآخر سنة ۱۲۲۹ه، فساد الأمن فى طريق الحج وأتى الناس أفواجا لتأدية فريضة الحج فى ذى الحجة سنة ۱۲۲۹ه، وحج (محمد على باشا) وجميع من معه، ثم عاد إلى مصر فوصلها فى ۱۵ رجب سنة ۱۲۳۰ه.
وقبل عودته كان قد سار (طوسن باشا) إلى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين فى مدينة (الدرعية) عاصمة زعيمهم، فاحتل مدينة (الرس) الواقعة على مقربة من الدرعية. ثم راسله (عبد الله بن سعود) الذى تولى زعامة الوهابيين بعد موت أبيه وأرسل إليه رسولا يدعى (الشيخ أحمد الحنبلى) يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لأمير المؤمنين وترک (دعوتهم)، فأجابهم (طوسن باشا) بأنه لا يمكنه إجابة ملتمسه الا بعد أخذ رأى والده، واتفقا على مهادنة عشرين يوما ريثما يخابر (طوسن باشا) والده.عند ذلک أتى أليه خبر عودة والده إلى مصر، فأخذ على نفسه إتمام الصلح وإخبار والده بعد إتمامه. فاتفق مع (عبد الله بن سعود الوهابى) على أن يحتل (طوسن

باشا) بجيوشه مدينة الدرعية، ويرد الوهابيون ما أخذوه من المجوهرات والنفائس من الحجرة الشريفة النبوية، خصوصا الكوكب الدرى الذى زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطا من الماس. وكتب لوالده بذلك فأتى إليه الرد بتكليف (عبد الله بن سعود) بالتوجه إلى الآستانة وان لم يقبل يرسل إليه جيشا جديدا لمحاربته. وفى هذه الأثناء جمع (طوسن باشا) خبر تمرد الجنود على والده بالعاصمة ونهبهم المدينة، فرجع هو أيضا إلى العاصمة منيطا قيادة جيوشه لأحد من كان معه من القواد، ووصل هو إلى القاهرة فى غاية ذى القعدة سنة ۱۲۳۰ه.

ثم سافر (عبد الله بن سعود) إلى الآستانة من طريق مصر، فوصل القاهرة فى يوم الاثنين ۱۷محرم سنة ۱۲۳۴ه، و بعد أن قابل (محمد على باشا) بسراى شبرا سافر قاصدا الآستانة فى ۱۹ من الشهر المذكور، وقتل بالقسطنطينية بمجرد وصوله. ولما هدأت الحال فى بلاد الحجاز ونجد وضرب الأمن أطنابه بها واستؤصلت شأفة الوهابيين منها عاد (إبراهيم باشا) إلى مصر.

ثورة اليونان وطلبها الاستقلال

إن الدولة كانت كلما فتحت إقليما اكتفت من أهله بالخراج غير متعرضة لهم فى دينهم أو لغتهم أو عوائدهم، وكان من مضار هذه الطريقة ان تحتفظ بها كل أمة لغتها وروابطها وعصبيتها، حتى إذا ساعدتها الظروف نشطت من عقالها وقامت من رقدتها طالبة نصيبها من شمس الاستقلال المنعشة، فلما قامت الثورة الفرنساوية على دعائم الحرية والمساواة والإخاء وانتشرت مبادئها فى جميع أنحاء أوروبا التى وطئها (نابليون) بجيوشه، تعدت منها إلى غيرها ووصلت فصائلها إلى بلاد اليونان، فوجدت من أفكار وألباب سكانها مغرسا طيبا فنمت وأينعت وامتدت فروعها إلى سهلها وجبلها واجتمع تحت ظلها الوارف زعماء الأمة اليونانية، لكنهم أيقنوا أنهم لا يقوون على طلب الاستقلال إلاـ إذا كان من أبنائهم شبان متعلمون يبثون المبادئ الجديدة بين جميع طبقات الأمة، فيعلمون أن لهم حقوقا يطالبون بها وواجبات يطالبهم الغير بها. ولذلك عمد أغنياؤهم إلى إرسال أولادهم إلى مدارس الممالك الأوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف، وليكونوا رؤساء الأمة ودعاة حريتها فى المستقبل. ثم ألفوا عدة جمعيات لنشر العلم بها بين أفراد الأمة وبث روح الوطنية بينهم، وشكلوا جمعيات أخرى سياسية محضة، وجعلوا مراكزها فى الروسيا والنمسا، وأهم هذه الجمعيات الجمعية السرية المسماة (هيتيرى).

وانتهز اليونانيون الفرصة بانشغال الدولة مع والى يانيا (على باشا) لنشر لواء العصيان ومقاتلة الجنود العثمانية المحتلة لحصونهم وقلاعهم فوجهت الدولة (خورشيد باشا) إلى بلاد اليونان لاخضاعها فتغلبوا عليه.

ولما رأى (السلطان محمود) ما ألم بجيوشه فى هذه الحروب، وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية، أصدر فرماناً بتاريخ ۵ رجب ۱۲۲۹ه بتعيين (محمد على باشا) واليا على جزيرة كريد وإقليم موره وهما بؤرتا هذه الثورة وفى الحال أصدر(محمد على باشا) أوامره باستعداد سبعة عشر ألف جندى كلهم مصريون من المشاة للسفر، وعدد من الفرسان والمدفعية بقيادة (ابراهيم باشا). فأبحرت هذه الإرسالية من الإسكندرية فى ۱۹ ذى القعدة ۱۲۲۹ه، وبينما يستعد (إبراهيم باشا) لفتح ما بقى من بلاد اليونان إذ تدخلت الدول بين الباب العالى ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين فى الظاهر، ولفتح المسألة الشرقية وتقسيم بلاد الدولة بينهم فى الباطن. وبيان هذا التدخل ان الدولة لامت روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها، وهى لا تصغى لهذا اللوم ولا تنصت للحق، بل استمرت على مساعدتهم طمعا فى نوال بغيها الأصلية وهى احتلالها الآستانة وجعلها مركزا للديانة (الأرثوذكسية) كما أن مدينة (رومة) مركزا للديانة الكاثوليكية ثم استمرت المخابرات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا التدخل بين التابع والمتبوع، وعدم قبول الباب العالى أى تدخل أجنبى فى شؤونه الداخلية بين رعاياه. ولما توفى القيصر (اسكندر الأول) فى ۱۸ ربيع الثانى سنة ۱۲۴۱ه وتولى بعده (نقولا الأول) واهتم بمسألة اليونان متبعا خطة سلفه السياسية وباتحاده مع إنكلترا التى كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالى إلى التصديق على معاهدة (آق كرمان) فى ۲۸صفر سنة ۱۲۴۲ه وملخصها:

(أن يكون لروسيا حق الملاحة فى البحر الأسود، والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة وجه فى تفتيش سفنها، وأن تنتخب حكام ولايتى الأفلاق والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما أو أحدهما إلا بإقرار روسيا، وأن تكون ولاية الصرب مستقلة تقريباً، وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى). ولم يذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال فى المستقبل، بل اتفقت روسيا وإنكلترا على استعمال كل نفوذهما لوضع حد للحروب المستعمرة بها ولو كره الباب العالى ووافقتهما دول النمسا والبروسيا وفرنسا، مما انجر بالنهاية إلى استقلال اليونان.

وأخذ الغربيون ينظمون جيوشهم ويرتبون أمورهم ولما تحقق (السلطان محمود) أفضلية النظامات العسكرية المستعملة فى جيوش أوروبا، وسمع بذلك أهتم بالنظام الجندية على الطرز الغربى، وابتدئ فى تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين.

إلغاء طائفة الانكشارية

ولما كان يوم ۸ ذى القعدة سنة ۱۲۴۰ه وتعرض الانكشارية للجند وقت التمرين أصدر السلطان أمره بمعاقبة كل متعرض لهم بالقتل. ولذا تجمع المتعصبون فى مساء ذلك اليوم وتأمروا على العصيان.

وكان السلطان فى سراى (بشكطاش) فحضر على الفور سرايته وجمع العلماء وأخبرهم بما ينويه الانكشارية، فاستقبحوا عملهم وشجعوه على المقاومة، فاستدعى الآيات الطوبجية التى نظمها نوعا عقب توليته واستعد لقتال الثائرين، وعزم على عدم التساهل معهم خوفا من تفاقم شرورهم واسترسالهم فى التمرد والطغيان.

وفى صباح ۹ ذى القعدة أخرج السلطان العلم النبوى الشريف، وسار بجنود الطوبجية يتقدمه العلم إلى ساحة (آت ميدانى)، حيث كان الثائرون مجتمعين فى هرج ومرج لا مزيد عليهما، وتبعه كثير من العلماء والطلبة. ولم يمض قليل حتى أحاطت الطوبجية بالميدان واحتلت جميع المرتفعات المشرفة عليه، وسلطت مدافعها على الانكشارية من كل صوب، فخرج جميع الانكشارية وتجمهروا قاصدين الهجوم على المدافع للاستيلاء عليها، فقذفت عليهم من صيب قللها ما أوقعهم فى الفشل وأيقنوا معه أن لا طاقة لهم على مقاومتها، فعكفوا إلى ثكناتهم طالبين النجاة لكن أنى لهم ذلك وقد سلطت أفواه المدافع عليها فهدمتها وأشعلت فيها النيران حتى دمرتها على من التجأ إليها، وبذلك انتهت هذه الفتنة المريعة.

وفى اليوم التالى صدر فرمان سلطانى بإبطال فئتهم كلية وملابسها واصطلاحاتها واسمها من جميع الممالك المحروسة، ونودى بذلك فى الشوارع، وصدرت الأوامر إلى جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقى منهم وإعدامه أو نفيه إلى أطراف البلاد حتى لا تبقى منها باقية.

ومن ثم أخذ السلطان فى ترتيب وتنظيم الجيوش بهمة لم يمسسها ملال، وعين لإدخال هذه التنظيمات لجنة من أكابر الوزراء، وقلد (حسين باشا) الذى كانت له اليد الطولى فى إبادة الانكشارية قائدا عاما لهم.

ولما رأى أن جماعة البكطاشية محازبة للانكشارية أمر بإلغائها وإبطال جميع تكاياها، فألغيت وشتت أعضاؤها فى أطراف الدولة حتى لا يخشى من تجمعهم بالآستانة، وقتل ثلاثة من رؤسائها النافذى الكلمة بناء على فتوى شرعية. ومن جهة أخرى أخذ فى تغيير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا، فاستبدل العمامة (بالطربوش الرومى)، وتزيّى بالزى الأوروبى، وأمر بأن يكون هو الزى الرسمى فى العسكرية والمدنية، وأسس وساما دعاه (وسام الافتخار).

وأخيرا تجول بذاته فى ممالكه بأوروبا ليستطلع أحوالها، ويقف على حقائق الأمور وشكاوى الأهالى، وبالاختصار فانه سار سير من يريد مجاراة أوروبا فى نظاماتها.

احتلال فرنسا لجزائر الغرب

وفى أواسط سنة ۱۲۴۵ه نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر، ليكون لها مركز حربى بشمال أفريقيا حتى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة. واتخذت لذلك سبيلاً وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة عليها المدعو (حسين باى) وقرروا فى مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه فى ۱۳ شعبان سنة ۱۲۴۵ه وجوب الاستيلاء على هذا الإقليم. ثم أرسل إليها جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل، وعمارة بحرية مؤلفة من مائة سفينة، وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندى بحرى. ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع.

ولما لم يفد احتجاجها شيئا أوعزت إلى الباب العالى أن يأمر عامله على الجزائر بالتساهل مع فرنسا وتقديم ما تطلبه من الترضية والتعويضات، فأرسل الباب العالى مندوبا من طرفه لتبليغ هذه التعليمات إلى عامل الجزائر.

وفى ۲۰ ذى الحجة سنة ۱۲۴۵ه نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر، وانتشب القتال بين الفريقين فى (۱۹يونيو). وبعد محاربة شديدة فاز الفرنسيون بالغلبة. وفى ۱۴محرم سنة ۱۲۴۶ه احتلوا القلعة المسماة (سلطانية قلعة سى) الواقعة أمام مدينة الجزائر. وفى تلوه دخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها بعد خروج (حسين باى) منها، وأعلنت فرنسا امتلاكها لها. وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا إلى الجزائر لفتحها، وما زال الأهالى يقاومونها تحت إمرة الوطنى الشهير (السيد عبد القادر الجزائرى)، الذى دافع عن بلاده مدة سبع عشرة سنة وسلم نفسه فى ۲۴ رجب سنة ۱۲۶۳ه. ولم تزل الأهالى غير راضية عن الاحتلال الفرنساوى حتى الان، ولم تدع فرصة للتخلص منه إلا اتخذتها، لكن لم تقو حتى اليوم على التخلص من ربقة الأجنبى.

ثم إن (محمد على باشا) حارب والى الشام مرتين وحارب مع نفس العثمانيين. وتوفى (السلطان محمود الثانى) فى يوم ۱۹ ربيع الثانى سنة ۱۲۵۵ه فجأة بدون أن يعلم بتقهقر الجيش العثمانى أمام جيش (محمد على باشا) والى مصر لعدم وجود الأسلاك البرقية فى هذا العهد، بالغاً من العمر ۵۵ سنة، وتولى بعده ابنه (عبد المجيد)، وكانت مدة خلافة (السلطان محمود) إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور ومات عن أربع وخمسين سنة تقريباً.

السلطان عبد المجيد خان

وكانت ولادة (السلطان عبد المجيد) فى ۱۴ شعبان سنة ۱۲۳۷ه، وكان إذ ذاك سنّه ۱۷، فتولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، وكانت الحكومة فى غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش (محمد على باشا) بنصيبين، واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية.

ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا وشغل الخواطر وأوروبا، أن (أحمد باشا) القبودان العام للدونانمة التركية، خرج بجميع مراكبه الحربية وأتى بها إلى ثغر الإسكندرية، وسلمها إلى (محمد على باشا) فى ۲ ج۱ سنة ۱۲۵۵ه. وكان فعل (أحمد باشا القبودان) مسبباً عن توجيه منصب الصدارة العظمى إلى (خسرو باشا) الذى كان قد سبق تعيينه واليا على مصر، وخرج منها بناء على رغبة الأهالى فى تعيين (محمد على باشا) عليها، وخوفه من الإيقاع به بسبب ما كان بينه وبين (محمد على باشا) من علائق الارتباط والمحبة.

ثم أن الغربيين اتفقوا مع العثمانيين ضد والى مصر (محمد على باشا)، وفى يوم ۱۴ رجب أنزلت العساكر إلى البر فى نقطة تبعد نحو ستة أميال فى شمال بيروت، ولم يتمكن (إبراهيم باشا) ولد (محمد على) من منعهم، لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الإنكليزية.

وفى ظهر ذلك اليوم بعد نزول هذه العساكر إلى البر أرسل إلى (سليمان باشا) بلاغ من (الأميرالين) الإنكليزى والنمساوى بأن يخلى

مدينـة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشـرين ساعة كى يتداول مع (إبراهيم باشا) فى هذا الأمر الجلل، فلم يقبل طلبه وابتدأ فى إطلاق المدافع على المدينة، واستمر إطلاقها حتى المساء، وابتدأ أيضاً فى اليوم التالى قبل الفجر ولم تقطع إلا بعد هدم أو حرق أغلب المدينة، وأحرقت كذلك كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من (محمد على باشا) وإرجاعها إلى الدولة كما كانت.

إن المراكب الإنكليزيـة والعسـاكر المختلطـة الـتى أنزلت إلى الـبر فى عـدة مواضـع تمكنت من أخـذ جميع المـدن الواقعـة على البحر وإخراج المصـريين منهـا، حتى لم ير (محمـد على باشـا) بـدّاً من الإذعـان إلى مطالب أوروبا، وأنه من العبث المحض مقاومـة الـدول المتحـدة، فأصـدر أوامره إلى ولـده (إبراهيم باشـا) بعـدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائـدة، وباسـتدعاء الجنود المعسـكرة فى حـدود الشـام والانجلاء عنهـا، مع اتخـاذ أنواع الاحتراس الكلى من العرب وسـكان الجبل. فبلغ (إبراهيم باشا) هـذه الأوامر إلى القواد جميعهم، وأخـذ الجنود فى الرجوع من كل فـج وصاروا يتجمعون حول قائـدهم الـذى قادهم غير مرة إلى النصـر والظفر. وبعـد ذلك قسم الجيش عـدة فرق كـل منها تحت إمرة أحـد القوّاد وسار الكل راجعين إلى مصـر تاركين البلاد التى سـفكوا فيها دماءهم وتركوا فيها قبور إخوانهم.

وأمـا (إبراهيم باشـا) وفرقته فلم يمكنهم العودة إلى القـاهرة من طريق صـحراء العريش، لشـدة من لاقوه أثناء مرورهم فى فلسـطين من معارضـة العرب (أى البدو) لهم وسدهم الطريق عليهم واحتلالهم جميع القناطر المبنية على الأنهر، حتى اضـطر لمحاربتهم فى كل يوم بل وفى كل ساعة.

وأخيرا وصل مدينـة غزة بعد أن قتل فى الطريق ثلاثة أرباع من معه وكثير من المسـتخدمين الملكيين الذين أرادوا الرجوع إلى وطنهم مع عائلاتهم، فلما وصل غزة كتب لوالده إشعارا بقدومه وطلب منه إرسال ما يلزم له من المراكب لنقل فرقته إلى الإسكندرية وما يلزم لمؤونتهم وملبسهم.

إثارة الطائفية

وبمجرد إخلاء الجيوش المصـرية لبلاد الشام وجبال لبنان، وعدم شعور سكانها بسطوة (إبراهيم باشا) وبطشه، زادت الدسائس الأجنبية لإضـرام نار الشـقاق وبـذر الفتن الداخليـة توصـلا لغاياتهم الشخصـية، وكانت فرنسا مساعـدة للمارونيـة الكاثوليك، وإنكلترا معضـدة للـدروز ضـدهم، لتلجئهم على ترك المـذهب الكاثوليكى واعتناق المذهب البروتسـتانتى، فيدخلوا بذلك تحت حمايتها الفعلية، ولم يعـد لفرنسا حجة لحمايتهم لسـبب مذهبى. وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التى تغرره تود صـلاح حاله وترقيه فى المدنية، ولا تفقه لدخائل هذه السياسة التى لا يتأخر أصحابها أمام إهراق دماء الأبرياء، توصلا لمآربهم.

وبهذه الدسائس ساد الهياج فى جميع أنحاء لبنان، وظهر ما تكنه صدور سـكانه من الأحقاد الجنسـية والدينية، حتى تعدى الدروز على المارونية فى سنة ۱۲۵۷ه، ودخلوا دير القمر، وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان، من النهب والسلب وقتل النساء والولدان وسبى الحرائر، ولولا تدخل الجيوش بشدة لامتدت الثورة.

وحـدثت فى مدينة جدة نازلة أكثر أهمية من تلك، وهى قيام المسـلمين بها على المسـيحيين فى يوليو ۱۲۷۴ه وقتلهم بعضهم وإصابة قنصل فرنسا وكاتبه إصابـة شديـدة وقتل زوجته، ومما جعل باباً للأوروبيين لرمينا بالتعصب الـدينى، فلما علم (فؤاد باشا) بهـذه الحادثة لم يشـعها بل أرسل من يدعى (إسـماعيل باشا) ببعض الجند لتحقيقها ومجازاة القاتلين بالإعدام بدون طلب تصـريح من الآستانة، كما جرت به العادة، لكن قبل وصول هـذا المنـدوب علمت الـدول بهـذه المذبحة، وأرسـلت فرنسا وإنكلترا لائحة للباب العالى بالاشتراك يخبرانه بهـا أنهمـا أرسـلتا مراكبهما إليها بتعليمات شديـدة، فأجابهم (فؤاد باشا) بأن الدولـة لم تهمل واجبها بل رخصت ل (إسـماعيل باشـا) بـإجراء اللازم، وأن الدولـة مسـتعدة لتقـدير التعويضات الواجب دفعها لمن لحقهم ضـرر بالاتحاد مع من تعينهم الـدولتان لهـذا الغرض.

إطلاق الإنكليز المدافع على جدة

إطلاق الإنكليز المدافع على جدة

وفي هذه الأثناء أتى (نامق باشا) والى مكة إلى جدة وقبض على المجرمين وحاكمهم، فحكم على كثير منهم بالإعدام، لكن لم يمكن تنفيذ هذه الأحكام إلا بعد استئذان الدولة. وفي غضون محاكمتهم وصلت إلى ميناء جدة سفينة حربية إنكليزية اسمها (سيكلوب) وطلب ربانها من (نامق باشا) تنفيذ الحكم فورا وأمهله أربعة وعشرين ساعة وإن لم يعدم المحكوم عليهم يطلق مدافعه على المدينة. ولما أجابه (نامق باشا) بعدم إمكانه إجابة طلبه سلط مدافعه على هذه المدينة واستمر إطلاقه عليها نحو عشرين ساعة ولولا وصول السفينة المقلة (إسماعيل باشا) المندوب العثماني لدمرت المدينة عن آخرها فإنه لما وصل هذا المندوب أوقف ضرب النار ونزل معه العساكر العثمانية والإنكليزية وأمر بشنق المحكوم عليهم بالإعدام فشنقوا وانتهت هذه المسألة ورجعت العساكر الإنجليزية إلى سفينتهما بدون أن يجدوا علة للبقاء.

حادثة الشام واحتلال فرنسا لها

ووجه أرباب الغايات مساعيهم إلى بلاد الشام لاستعدادها لقبول بذور الفساد أكثر من باقي الولايات بسبب تعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرب ووجود العداوة بينهم خصوصا بين المارونية والدروز، فقامت بينهم أسباب الشقاق ودواعي الخلف إلى أن تعدى المارونية بالقتل على الدروز في أواخر سنة ١٢٧٥ه وقام الدروز للأخذ بالثار، ثم امتدت الفتنة إلى جميع أنحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحلة ودير القمر ومنها إلى مدينة دمشق الشام.

فعرضت فرنسا على الدول إنها مستعدة لإرسال جيوشها إلى بلاد الشام لقمع الفتنة ومجازاة مثيريها وحماية المارونية، فلم تقبل الدول هذا الاقتراح بادئ الرأى خوفا من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكريا وضحت أموالها ورجالها.

ولما حصلت مذبحة دمشق التي قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة على ما يقولون أرسلت جميع الدول إلى الباب العالي تهدده بالتدخل إن لم يضع حدا لهذه الفتن، لكن بلاغاتهم لم تكن اشتراكية لعدم اتحادهم، فجمع (فؤاد باشا) جميع الوزراء واظهر لهم ضرورة تعزيز الجيش العثماني بهذه البلاد وإخماد الثورة قبل أن تتفق الدول على التدخل عسكريا، فتقرر رأيه بالإجماع وانتدب هو لقيادة الجيوش بها ومجازاة كل من تظهر إدانته. فسافر على جناح السرعة ووصل إلى بيروت في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ه ومنها قصد مدينة دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلسا حربيا، وحاكم رؤساء الفتنة بكل صرامة وشنق كثيرا ممن ظهرت لهم يد عاملة فيها سواء كان من الدروز أو المسيحيين أو المسلمين أو من نفس كبار مستخدمي الحكومة وبذل همته في إعادة الأمن إلى البلاد.

وفي أثناء ذلك اتفقت الدول على أن ترسل فرنسا إلى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني على إعادة السكينة لو عجز عن تأدية هذه المهمة، وفي ٢٢ محرم سنة ١٢٧٧ه نزلت الجنود الفرنساوية إلى بيروت تحت قيادة الجنرال (دوبول). وفي أثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة أوروبية مشكلة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع (فؤاد باشا) على أن يعطوا للمسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض، وان يمنح أهالي الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة يكون حاكمها مسيحي المذهب، وأن يكون للباب العالي حامية من ثلاثمائة جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من دمشق إلى بيروت.

ثم عين بالإجماع من يدعى (داود أفندى) الأرمني الجنس أميرا للجبل لمدة ثلاث سنوات لا يمكن عزله الا باتفاق الدول. وبعد خروج الجيوش الفرنساوية من بيروت بعشرين يوما توفي (السلطان عبد المجيد خان) في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧ه وعمره أربعون سنة وكسور، ومدة حكمه ٢٢ سنة ونصف، وفي يوم موته بويع بالخلافة لأخيه.

السلطان عبد العزيز خان

المولود فی ۱۴ شعبان سنة ۱۲۴۵ه وفی ۱۸ ذی الحجة سنة ۱۲۷۷ه توجه فی موکب حافل إلی ضریح سیدی (أبی أیوب الأنصاری)، وهناک تقلد السیف السلطانی علی ما جرت به العادة، ومنه سار لزیارة قبر(السلطان الغازی محمد الثانی) فاتح الآستانة، ثم قبر والده (السلطان محمود الثانی).

وکانت فاتحة أعماله أنه أقر الوزراء فی مراکزهم ما عدا ناظر الجهادیة (رضا باشا) فإنه أبدل ب (نامق باشا).

ولما تولی (السلطان عبد العزیز) منصب الخلافة العظمی أبقی (محمد أمین عالی باشا) فی الصدارة العظمی، لکن لم یلبث أن أقاله تبعا للظروف، فی جمادی الأول سنة ۱۲۷۸ه، وعین (فؤاد باشا) صدرا أعظم، ولم تدم صدارته الأولی بل فصل عنها. وبعد بعض تقلبات أعید إلیها بعد بضعة شهور فبذل جهده فی إصلاح المالیة، التی کانت علی شفا الإفلاس بسبب الدیون الکثیرة التی اقترضتها الدولة فی أیام (السلطان محمود الثانی) و(عبد المجید) بسبب إنشاء القوائم، التی هی عبارة عن أوراق صغیرة ملونة بألوان مختلفة کل منها بقیمة معلومة من النقود. ولبیان سوء الأحوال المالیة نقول: إنه لما انتشبت حرب استقلال الیونان ودمرت الدول دونانماتها ظلما وتعصبا التزمت الدولة لتجدید مراکبها وتقویة جیوشها، إلی اصدار القوائم المالیة، فأصدرت أولا فی سنة ۱۲۴۵ه أوراقا بمبلغ اثنین وثلاثین ألف کیسة بفائدة ثمانیة فی المائة سنویا تستهلک فی ثمانی سنوات، ثم بسبب حروب الشام بین مصر والدولة ما تیسر لها استهلاک هذا القدر بل أصدرت أوراقا بلا فائدة، وامتنعت عن دفع الفائدة عن الأوراق الأصلیة، وتوالی بعد ذلک إصدار الأوراق فی کل سنة تقریباً.

ولما تربع (السلطان عبد المجید) فی دست الخلافة أراد سحب القوائم، إلا ان حرب القرم وما جرته علی الدولة من المصاریف الباهظة منعه عن تتمیم مشروعة واضطرته الأحوال إلی الاستدانة من أوروبا للقیام بأعباء الحرب، ثم استغرقت المصاریف کل القرض فأصدر قوائم جدیدة. واستمر الحال علی هذا المنوال، وکل سنة تزداد الدیون الخارجیة والقوائم الداخلیة حتی ولی (فؤاد باشا) منصب الصدارة، فاقنع جلالة (السلطان عبد العزیز) بضرورة إبطال القوائم وتسویة جمیع الدیون بکیفیة منتظمة، فأصدر السلطان فرمانا عالیا فی ۲۰ رجب سنة ۱۲۷۸ه ل (فؤاد باشا) بإصلاح المالیة وإعمال میزانیة سنویة لإیرادات ومصروفات الدولة. ثم فی ۱۹ ذی الحجة سنة ۱۲۷۸ه أصدر إلیه فرمانا آخر أهم ما جاء به سحب القوائم بأجمعها وتصفیة جمیع الدیون السائرة ودفع بدل القوائم نقودا ذهبیة أو فضیة بقیمة أربعین فی المائة وسهاما جدیدة بقیمة الستین فی المائة الباقیة.

واقترضت الدولة لإتمام هذه العملیة المالیة ثمانیة ملایین جنیها انکلیزیا، ولما لم تف اقترضت ثمانیة أخری بواسطة البنک العثمانی الذی تأسس فی هذه الغضون، ولکثرة المصاریف فی الإصلاحات الداخلیة وغیرها کثرت الدیون وتراکمت وصار دفع الکوبونات (الفوائد) حملا ثقیلا علی عاتق میزانیة الدولة، فأمر السلطان بالاقتصاد من جمیع فروع المیزانیة حتی من المبالغ المخصصة لسرایته الخاصة. وبذلک أمکن ناظر المالیة (مصطفی فاضل باشا) القیام بدفع الفوائد. وأخیرا لعدم موافقة ناظر المالیة ل (فؤاد باشا) علی مشروعاته المالیة عزل (مصطفی باشا فاضل) وعین (کانی باشا) مکانه، فقدم هذا الأخیر بالاتحاد مع (فؤاد باشا) تقریرا إلی السلطان بتاریخ ۲۱ شوال سنة ۱۲۸۱ه قاضیا بإنشاء هذا التقریر وسجل بمقتضاه أربعون ملیون جنیها عثمانیا، لکن لم یأت زمن دفع الکوبون الا والخزینة ناضبة لا یوجد بها ما یکفی لدفعه فاضطرت الدولة إلی إصدار سهام جدیدة بواسطة البنک العثمانی بمدینتی باریس ولوندره، فأصدرها البنک فی شعبان سنة ۱۲۸۲ه بفائدة ۱۲ فی المائة. ولضعف الثقة بمالیة الدولة لم یقدم أصحاب الأموال علی الاکتتاب ولم یتحصل من هذه السهام الجدیدة إلا ما یکفی لدفع الکوبون المستحق فقط.

ولاستمرار هذا الضیق وعدم وجود النقود الکافیة للمصروفات الضروریة سعی به أرباب الغایات لدی جلالة السلطان وأفهموه أن هذا العسر ناشئ عن سوء تدبیر (فؤاد باشا) للمالیة فعزله واستبدله ب (محمد رشدی باشا) وأصدر له فرمانا بذلک بتاریخ ۲۱ محرم سنة

۱۲۸۳ه فسعى مرتين فى إصدار قرض لتسوية الديون السائرة ولم ينجح، وأخيرا اتفق مع البنك العثمانى على أن يدفع البنك فوائد الديون المقيدة فى السجل العمومى كل ثلاثة أشهر، وتتنازل له الدولة لوفائها عن بعض إيرادات معينة، وبذلك أمكن دفع الكوبونات أولا فأولا واتقى شر تأخير دفعها الذى يعد فى عرف المالية إفلاسا، وصارت الدولة تقترض ما يلزمها من البنوك بدون إصدار أسهم عمومية.

بعد أن استقرت أحوال الدولة المالية أو كادت، تحركت الفتن السياسة أولا بسبب عدم قبول حكومة الصرب باتفاق ۱۱ ربيع الأول سنة ۱۲۷۹ه القاضى ببقاء الجيوش العثمانية محتلة لأربع قلاع بداخل بلاد الصرب كما سبق ذكر ذلك، وطلبها من الدول بكل إلحاح إبطال هذا الشرط وانجلاء عساكر الدولة عنها قطعيا، فلم تقبل الدولة بل هددت الصرب بالحرب لو مست عساكرها المحتلين بسوء.. ولكن اشتعال نار الفتن بكريد أشغلها عن إخضاعها وقبلت أخيرا فى ذى القعدة سنة ۱۲۸۳ه سحب عساكرها فكمل استقلال الصرب ولم يبق على أميرها إلا لقب ملك.

ومثل ذلك حصل بخصوص الاعتراف بانتخاب (البرنس شارل دى هوهنزولرن البروسى) فإن الدولة بعد أن جمعت جيشا جرارا على حدو رومانيا لفسخ الانتخاب وإلزام الأهالى باتباع نصوص المعاهدات اضطرتها ثورة كريد إلى العدول عن هذه الخطة والاعتراف بانتخابه. ولقد أصابت الدولة فى ذلك لأن وجود مثل هذه الإمارة فى طريق روسيا يفيدها وقت الحرب خصوصا إذا لم يكن أميرها مصافيا لروسيا ولا متحدا معها فى المذهب والجنس. أما الإصلاحات التى أجريت فى داخلية الممالك المحروسة فى خلافته، فمنها: القانون القاضى بجواز انتقال الأراضى الميرية (الخراجية) والموقوفة لورثة صاحب المنفعة الصادر فى ۱۷ محرم سنة ۱۲۸۴ه وهو يشبه لائحة الأطيان السعيدية المصرية. والقوانين التى أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك المحروسة بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية، وذلك فى سنة ۱۲۸۵ه، ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية ليعمل بها فى المحاكم النظامية.

وحرر فى المادة الثانية والتسعين بعد الثلاثمائة من هذه المجلة:

(فإذا أمر إمام المسلمين بتخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها تعين ووجب العمل بقوله، وإذا صارت هذه المعروضات المبسوطة لدى حضرتكم قرينة التصويب يجرى توشيح أعلى المجلة الملفوفة بالخط الشريف الهمايونى والأمر لولى الأمر).

وفى سنة ۱۲۸۳ه غيرت طريقة التوارث فى الخديوية المصرية وحصرت فى ذرية (إسماعيل باشا)، ثم فى سنة ۱۲۸۹ه أعطيت له عدة امتيازات جديدة، وفى ۱۳ ربيع الأخر سنة ۱۲۹۰ه أرسل إليه فرماناً جديداً شاملاً لجميع امتيازات مصر وكيفية التوارث فى منصب الخديوية. ثم وهب جلالة السلطان الأعظم إلى جناب خديو مصر مدينة (زيلع) وملحقاتها التابعة للواء الحديدة وأصدر له فرمانا بذلك.

مسألة قنال السويس

وكان يظن قبلا أن حفر خليج يصل بين البحرين (الأحمر والأبيض) مباشرة أمر مستحيل بسبب ادعاء بعض العلماء أن سطح مياه البحر الأحمر أعلى بنحو عشرة أمتار عن سطح مياه البحر الابيض كما قررته بعثة علمية فرنساوية فى سنة ۱۱۹۲ ه لكن أسقط هذا القول بالبحث الذى أجرى فى أواسط هذا القرن (التاسع عشر).

ولما تحقق لدى العموم بإجماع العلماء أن سطح البحرين متساو، سعى المسيو (فردينان دى ليسبس) قنصل فرنسا فى مصر لدى (سعيد باشا) والى مصر إذ ذاك للحصول على فرمان يخوّله امتياز تشكيل شركة عمومية لاتمام هذا العمل.

وبعد مساع لا مزيد عليها تحصّل على هذا الفرمان سنة ۱۲۷۱ ه ومما جاء فيه: أن يكون الخليج المزمع انشاؤه ملكا للشركة مدة ۹۹سنة تبتدئ من يوم فتحه للملاحة وأن لا يعمل بهذا الفرمان ولا يبتدأ فى العمل إلا بعد تصديق الباب العالى عليه.

وفی سنة ۱۲۷۳ ه تعهـدت الحكومة للشـركة بإحضار من يلزم لها من العملة من المصـريين قهراً بالطريقة التی كانت متبعة فی الأعمال العمومية أو أن تدفع لهم الشركة الأجر من طرفها..

ولما صـدرت سـهام الشـركة لم يقبل الجمهور على شـرائها لمعارضـة الجرائـد الانكليزيـة لهذا المشـروع، فبقی فی ايديها مائة وسـبعة وسـبعون ألف وستمائة واثنان واربعون سهماً، قيمة كل منها خمسمائة فرنك أی أن ثمنها عبارة عن ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف جنيه مصـری وزيادة،، فحسن (المسيو دی ليسبس) ل (سعيد باشا) أن يشتريها للحكومة المصرية، فاشتراها. ولما طلب منه عشری ثمنها عند الابتداء فی العمل اقترض له.

واعترض الباب العالی على هذا الاتفاق، ومما جاء فيه.. أن لا يسـتعمل المصـريون قهراً فی أشـغال الشـركة، اذ كان يستغل بها فی هذه الاثناء نحو ستين ألف مصری بطريق السخرة وأمهلت الدولة الشركة ستة أشهر لاعطاء الجواب والا يسقط حقها..

ولما انقضـی الأجل ولم تجب الشـركة بشـیء، أعلنتها الحكومة المصـرية بسـقوط حقها فی سنة ۱۲۷۹ ه فارعد (المسـيو دی ليسبس) وأزبد، وتدخلت فرنسا، وكاد الأمر يفضـی إلی ارتباكات سياسية، فقبلت الحكومة المصرية بحكم (نابليون الثالث) امبراطور فرنسا، ظنّا منها أنه ينصفها ضد الشركة، وغاب عنها أنه لا بد أن يميل إلی الشركة بعملی الجنسية و السياسية.

ونكتفی بالقول أنه حكم بما يأتی:

أولا: أن تدفع الحكومة المصرية للشركة مبلغ ثمانية وثلاثين مليون فرنكاً فی مقابلة إبطال الشرط القاضی عليهما بإحضار العمال.

ثانيا: ثلاثين مليون فرنكا نظير ترك الاراضی التی رخص للشركة باحيائها وزراعتها.

ثالثا: سـتة عشـر مليون فی مقابلـة تخلی الشـركة عن الترعـة الحلوة وفوائـدها، وتلتزم الحكومـة زيادة عل ذلك بحفرها من القاهرة إلی الوادی، وبجعلها صالحة للملاحة فی جميع أوقات السـنة وعلى الشـركة تطهيرها سنوياً بمعرفتها فی مقابلة ثلاثمائة ألف فرنك فأخذها من الحكومة ويكون للشـركة الحق فی أخذ سـبعين ألف متر مكعب من المياه فی كل أربع و عشـرين ساعة وبذلك يكون ما دفع من الحكومة المصرية بسبب عدم تبصر رجالها مائة واثنين وعشرين مليون فرنكاً.

وفی سـنة ۱۲۹۰ ه توجه الخـديو (إسـماعيل باشـا) إلی اوربـا لـدعوة ملوكهـا لحضور الاحتفال الـذی صـمم جنابه على اجراءها إظهاراً لسـروره من إتمام العمل المضـر بمصـر مالياً و سياسـياً وأخذ ايضاً يجهِّز ما يلزم لاقامة الملوك و الوزراء من السرايات اللائقة بمقامهم وأنشأ لهم سراية فی مدينة الاسماعيلية الجديدة، أنشأتها الشركة على نفقة الحكومة بمليونين من الفرنكات

وفی ۱۷سبتمبر (ايلول) سنة ۱۸۶۹ قـدم الوافـدون وفی مقدمتهم إمبراطورة فرنسا وإمبراطور النمسا.. وقد طار ذكر هذا المهرجان حتی ملا البقاع وتحدث الناس فی ترتيبه ونظامه ومصـرفه. وقد بلغ مصرف هذا المهرجان ما يزيد على مليون ونصف من الجنيهات، وذلك قدر السدس من إيراد مصر سنة كاملة.

عزل السلطان عبد العزيز

بعد الحوادث التی مر ذكرها اقتنع السلطان أن تحالف الدول مع الدولة فی حرب القرم، وما بعدها لم تكن نتيجته إلا إضعافها بالتدخل فی شؤونها الداخليـة ومساعدة الطوائف المسـيحية الخاضـعة لها على الانشـقاق عنها، وبث روح الفتن والفساد فی ممالكها تحت غطاء الحريـة ونشـر العلوم، وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسـيا جارتها القويـة وعـدوتها القديمـة لا سـيما وقـد عـدّل الـدول بعد الحرب الفرنساويـة الألمانيـة أهم بنود معاهدة باريس التی أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن فی البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها فی حـق ولاـيتی الأفلاـق والبغـدان. فلهـذه الأسـباب علم السـلطان أن الأـولی والأنجـح لسـياسة الدولـة هـو التباعـد عن الـدول الغربية والتحالف مع روسـيا، وعضده فی هذا الفكر، فأكثر السلطان من الاجتماع مع الجنرال (اغنالتيق) سفير روسيا بالآستانة، والمتواتر وإن لم تثبته الاوراق الرسـمية أنهما كانا يسـعيان لوضع أساس معاهـدة هجوميـة دفاعيـة يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشـرق

وتتبع الولايات الاسلامية أو التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة الإسلامية وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية. ولما شاع هذا المشروع لم يرق في أعين الدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق، وخصوصاً انكلترا. فأخذ عمالهم و سفراؤهم الظاهرون والسريون يلقون الوساوس في عقول السذج من أهل الآستانة وينسبون السلطان للتبذير والاسراف وعدم الأهلية لإدارة مهام الملك، وربما استعان هؤلاء المغررون بطرق أخرى المطالع بها أدرى، وما زالوا يوسوسون ويلقون بذور الفساد حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله، وأن إقالته من الأعمال، واجبة لانتظام الدولة وسيرها على المحور المستقيم. وصادفت دسائسهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب عدم اتباعه بعض العوائد المألوفة لديهم مثل خروجه من ممالكه وزيارة معرض باريس وحضوره التشخيصات التياترية والباللوات (المراقص).

وكيفية خلعه على أصح الروايات: أن المؤامرة التي أوصلت إلى هذه النتيجة حصلت بين كل من (محمد رشدي باشا) الصدر الأعظم، و(حسين عوني باشا) ناظر الحربية، و(أحمد باشا قيصرلي) ناظر البحرية، و(أحمد مدحت باشا) وشيخ الإسلام (حسن خير الله أفندي) وقبل الشروع في تنفيذ ما صمموا عليه أصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب ذلك هذا نصها.

(إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور، وليس له إلمام في الأمور السياسية، وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها، وقد أخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه)؟

الجواب: (يصح).

كتبه الفقير حسن خير الله

عفي عنه

ثم أناطوا (حسين عوني باشا) بأمر خلع (السلطان عبد العزيز) وشيخ الإسلام وباقي الوزراء بمبايعة (السلطان مراد).

وفي يوم الاثنين ٦ جمادى الأول سنة ١٢٩٣ه أخذ ناظر البحرية في تجهيز المراكب لحصر السراية السلطانية بحرا، فاستغرب السلطان حصول المناورات بالبحر تحت شبابيكه بدون سابقة علمه، فأرسل يستعلم عن السبب فأجيب بأن دواعي الحال أوجبت ذلك، ثم أخبر (أحمد باشا) قيصرلي الصدر الأعظم و(مدحت باشا) بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ مشروعهم في مساء ذلك اليوم خوفا من أن يكون السلطان قد شعر بسيئ قصدهم، واتفقوا على تكليف من يدعى (رديف باشا) بحصر السراية برا، وتعهد (أحمد باشا) قيصرلي بحصرها بحرا وفي الساعة الثانية بعد غروب ذلك اليوم اجتمع المتآمرون في ديوان السر عسكرية وتوجه (رديف باشا) مع ألاف من الجند مؤلف من ٢٥٠٠ عسكري وأمر (سليمان باشا) رئيس المدرسة الحربية بخفر باب السراي مع مائة من تلامذة هذه المدرسة راكبين خيولهم ومسلحين بالبنادق الجديدة، ولما تم حصارها برا وبحرا وأخبر المتآمرون بذلك توجه (حسين عوني باشا) في عربة إلى مقر (السلطان مراد) وأركبه معه وعادا معا إلى السر عسكرية حيث كان بانتظارهما (شيخ الإسلام) و(الشريف عبد المطلب) وجميع أعيان الدولة من عسكريين وملكيين، ولما دخلاها أحاطت بالسراية فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج، ثم حصلت المبايعة للسلطان الجديد (مراد خان الخامس) من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع.

السلطان مراد خان الخامس

وهو ابن (السلطان عبد المجيد)، وكانت ولادته في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ه. هذا ولما تم أمر المبايعة أرسل مخصوص إلى (رديف باشا) يخبره بذلك ويسلمه صورة الفتوى القاضية بعزل (السلطان عبد العزيز)، فقصد (رديف باشا) باب الحريم واستدعى (جوهر آغا) رئيس آغاوات السراي وكلفه بأن يبلغ السلطان أن الأمة قد عزلته، وأنه مأمور بتوصيل السلطان المخلوع إلى سراي طوبقبو وسلمه صورة الفتوى ليطلعه عليها، فلم يصدق السلطان الخبر إلا بعد أن نظر من الشبابيك ورأى العساكر محيطة بسرايته برا وبحرا إحاطة

السوار بالمعصم.

وعند ذلك أيقن أن التوقف لا ـ يكون وراءه إلا الإكراه على الخروج فنزل مستسلما، وبمجرد خروجه أحاطت به العساكر وأنزلوه مع ابنه (يوسف عز الدين أفندى) فى زورق ووالدته فى ثان وباقى أولاده وأمهاتهم فى ثالث، ثم خفرتهم الزوارق الحربية إلى أن أوصلتهم إلى سراى طوبقبو حيث كانت العساكر مصطفة على حافتى الطريق من البر إلى باب السراى.

وفى الساعة الحادية عشرة ليلا أطلقت المدافع من البر والبحر إيذانا بخلع (السلطان عبد العزيز) وتنصيب (السلطان مراد الخامس)، ونادى المنادون بذلك فى الشوارع، فهرع الأهالى أفواجا إلى سراى السر عسكرية وبايعوا (السلطان مراد) ولم يحصل أدنى مقاومة من أحد ولم تحتج إحدى الدول على هذه الثورة الداخلية، وذلك مما يؤيد أن جميع القناصل كان عندهم علم بما حصل قبل وقوعه، وأنه ربما كان ذلك باتفاقهم.

وفى الساعة الثالثة صباحا ذهب (السلطان مراد) فى عربة بين صفوف الأهالى إلى سراى بشكطاش حيث استمرت المبايعة ثلاثة أيام متوالية.

وفاة السلطان عبد العزيز

وفاة السلطان عبد العزيز

ولقد اختلفت الأقوال فى كيفية موت هذا السلطان، وكثرت الروايات عن ذلك، فمن قائل أنه قتل نفسه لعدم انتظام قواه العقلية بعد خلعه، ومن قائل أن الذين تآمروا على خلعه ارتكبوا هذا الأمر الفظيع فقتلوه خيفة أن يسعى فى الرجوع إلى منصة الأحكام. وقد شاع أو أشاع أرباب الغايات أن قد أصابته أمراض دماغيه يوم خلعه فاضطربت أحواله، وفى هذا الأثناء وعلى حين غفلة أخذ مقصاً وقطع عرقاً من ذراعه الأيمن وقطع عرق ذراعه الأيسر واضطجع على متكأ حتى تصفّى دمه.

ولما شاع هذا الخبر علا صريخ الجوارى وأتى الوزراء وبعد أن شاهدوا الحالة استدعوا لجنة طبية من مشاهير الأطباء، ومن ضمنهم أطباء سفراء الدول وبعد الكشف عليه طبع الكشف ووزع على العموم ونشر فى الجرائد ليعلم الناس كيفية موته. وفى الساعة الخامسة عربيا نقلت جثته إلى سراى طوبقبو (وكان قد نقل منها إلى سراية أخرى يوم السبت السابق لوفاته بناء على طلبه) وهناك غسلت وجهزت. وفى الساعة العاشرة شيعت جنازته ودفن بجوار أبيه (السلطان محمود).

قتل حسين عونى باشا ومحمد راشد باشا

(حسن بك) هو ابن (إسماعيل بك)، أحد أعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن أملاك روسيا، وكان ياورا ل (يوسف عز الدين أفندى) نجل (السلطان عبد العزيز) الذى كان مشيرا للاوردى الهمايونى الخاص. ولما توفى (السلطان عبد العزيز) أراد (حسين عونى باشا) السر عسكر إبعاده عن الآستانة فألحقه بمدينة بغداد، وأمره بالسفر على عجل، فامتنع، فحبس بحسب الأصول العسكرية، ثم أظهر الرغبة فى السفر وطلب إمهاله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه، وفى مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣ه تسلح بأربعة مسدسات وخنجر ماض وقصد منزل (عونى باشا) فقيل له إنه بمنزل (مدحت باشا) فذهب إليه، ولما سأل الخدم عن (حسين عونى باشا) قالوا له إنه مع سائر الوكلاء (النظار) فى مجلس مخصوص، فأوهمهم أن معه تلغرافاً مهما يختص بالحربية يريد توصيله فورا للسر عسكر، ثم انتظر برهة وطلع إلى المحل المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارسا بالباب منعه عن الدخول، فقال له من أنت، قال: (سالم آغا) خادم الصدر الأعظم، فقال: اذهب وناد خادم (حسين عونى باشا) لأنى مستعجل، فنزل (سالم آغا) وعندها دخل (حسن بك) الغرفة وأطلق غدارته على (حسين عونى باشا) فأصابه برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فأجهز عليه بالخنجر

وأصاب (محمد راشد باشا) ناظر الخارجية برصاصة فى عنقه أفقدته الحياة، ثم قام (أحمد باشا قيصرلى) ناظر البحرية وقبض على يد (حسن بك) فاثخنه جراحا حتى فر مع باقى الوزراء إلى غرفة أخرى تابعة لدائرة الحريم ووضعوا خلف الباب بعض امتعة ثقيلة، ثم جاء (أحمد آغا) رئيس خدم (مدحت باشا) وأراد القبض عليه فقتله، ثم حاول فتح الباب الذى اختفى باقى الوزراء خلفه، ولما لم يمكنه أطلق رصاصتين نفذتا من الخشب بدون أن تصيبا أحداً، ثم أخذ كرسيا وصار يكسر فى الثريات لإطفاء النور وأخذ شمعدانا ليحرق به الأستار ويوقد النار فى المنزل ليمكنه الهروب لكن لم يتمكن من ذلك، إذ حضرت عدة من عساكر الضبطية فقبضوا عليه بعد ان قتل (شكرى بك) ياور الصدر الأعظم وأحد أنفار العساكر، ثم سيق إلى ديوان السر عسكرية، وفى صباح الجمعة تشكل مجلس حربى تحت رئاسة (رديف باشا) فحكم عليه بالتجريد من الرتب والقتل شنقا، وجرد فى الحال من الرتب وعلامات الشرف. وفى فجر يوم السبت شنق على شجرة فى ساحة (بايزيد) وبقى مشنوقا إلى صباح الاثنين وعلى صدره ورقة تبين أسباب شنقه ليكون عبره لغيره.

عزل السلطان مراد

وقد ظهرت على السلطان علامات الاضطراب العصبى عقب توليته بنحو أسبوع، ثم ازدادت شيئا فشيئا، خصوصا بعد ما بلغه خبر قتل (حسين عونى باشا) و(محمد راشد باشا) بالصفة التى سبق شرحها، حتى لم يتمكن من تمييز الوزراء عن بعضهم، ومع ذلك فكان الصدر الأعظم يخفى هذا الأمر عن العموم لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطانى فى جامع (أبى أيوب الأنصارى) حسب العادة، ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته. وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب (ليدزورف) النمساوى الشهير بمداواة الأمراض العقلية فحضر، وبعد أن فحصه ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الأقوال والإشارات واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته، قال: بتعسر برئه من هذا المرض. فتشاور الوزراء فى الأمر ثم عرضوا على أخيه (عبد الحميد أفندى) أن تسلم إليه مقاليد الأحكام، حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه (السلطان مراد) لإدارة مهامها، فأجابهم: أن الأولى عدم التسرّع.. فامتثل الوزراء، لكن لما رأوا أن الحالة فى إزدياد اجتمعوا فى يوم الأربعاء ۱۰ شعبان سنة ۱۲۹۳ه وقرروا بوجوب المبايعة ل (عبد الحميد خان الثانى) وأرسلوا رقيما لوالدة (السلطان مراد) يخبرونها بذلك، فأجابت باستحسان ما قرروه. ثم فى صباح يوم الخميس اجتمع الوزراء ثانية واستدعوا شيخ الإسلام (خيرالله أفندى) وجميع الذوات والعلماء والأمراء والأعيان واستفتوا شيخ الإسلام فى الأمر، فأفتى بوجوب عزله وهاک نص الفتوى:

صورة استفتاء الوزراء

فى وجوب خلع السلطان مراد خان الخامس

(إذا جن إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة فهل يصح حل الإمامة من عهدته)؟

الجواب: (يصح والله أعلم).

كتبه الفقير حسن خيرالله

عفى عنه

السلطان عبد الحميد خان الثانى

السلطان عبد الحميد خان الثانى

وبعدها أرسلوا فى طلب السلطان الجديد إلى سراى طوبقبو وبايعه الحاضرون. ومنها إلى سراى بشكطاش حيث بايعه جميع من حضر

من رؤساء روحانيين وغيرهم.

أما (السلطان مراد) فتوجه إلى سراى جراغان التى كان بناها (السلطان عبد العزيز) واستشهد بها، ثم أخطرت الولايات وزينت المدينة ثلاثة أيام توالى فيها إطلاق المدافع فى الأوقات الخمس من الطوابى والمراكب الحربية. وفى يوم ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ه تقلد السلطان السيف المنيف فى جامع (أبى أيوب الأنصارى) على ما جرت به العادة، وكان ذهابه إلى هذا الجامع فى موكب حافل لم يسبق له مثيل، وبعد ذلک استلم إدارة الأعمال بهمة ونشاط.

البرلمان العثمانى الأول

وفى ۴ ربيع الأول سنة ١٢٩۴ه فتح البرلمان العثمانى الأول فى سراى بشكطاش، وعند افتتاحه تليت خطبة أنيقة عن لسان السلطان، وبحضوره شرحت فيها جميع الأسباب التى أدت إلى انحطاط الدولة وتأخرها سلميا وسياسيا، وبعد تشخيص الداء بيّن فيها الدواء وما يلزم للمملكة من الإصلاحات ونشر التعليم والمساواة بين الجميع والعدل فى الأحكام. وفى ١٢دسمبر سنة ١٢٩٣ه قضت المراحم السلطانية فأصدر فرمانا بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتعيين قضاة من الأهالى بطريق الانتخاب وتوحيد الضرائب والمساواة فيها بين المسيحيين والمسلمين.

حادثة سلانيک ولائحة برلين

وتفصيل هذه الحادثة أن فتاة بلغارية مسيحية اعتنقت الدين الحنيفى الإسلامى طائعة مختارة وأتت إلى سلانيک فى سنة ١٢٩٣ه لإثبات إسلامها شرعا، فتعرض لها بعض أوباش الأروام فى الطريق حين توجهها إلى دار الحكومة واختطفوها من أيدى المحافظين عليها بالقوة، وأخفوها أولا فى محل (قنصلاتو) أمريكا ثم فى أحد بيوت كبرائهم، ولما اشتهر هذا الخبر بين المسلمين هاجوا وماجوا وتجمعوا فى فسحة دار الحكومة طالبين البحث عن البنت وتخليصها من أيدى المخفين لها، فوعدهم الوالى بإجراء شؤون وظيفته.

ثم لما رأى المسلمون عدم نجاح بحث الحكومة تجمعوا ثانيا فى اليوم الثانى فى أحد الجوامع مشددين النكير على الحكومة، وفى أثناء هذا الهياج حضر قنصلا فرنسا وألمانيا ويقال انهما دخلا الجامع، ولتواتر الاشاعة بان البنت فى بيت قنصل المانيا ازداد الهياج، وفى أقل من القليل بلغت الحدة منتهاها من المجتمعين وتعدوا على القنصلين بالقتل.

ولما وصل خبر هذه الحادثة إلى الدول اضطرب وزراؤها وتبادلوا المخابرات البرقية للاتفاق على اتخاذ سبب للتدخل.

وفى ١١ منه اجتمع (البرنس غورشاكوف) وزير روسيا و(الكونت أندراسى) وزير النمسا ب (البرنس دى بسمارک) بمدينة برلين وأخذوا فى المداولة معا يومى ١١و ١٢منه. وفى ١٣ منه حرروا لائحة إلى الباب العالى معروفة فى كتب السياسة بلائحة برلين، وصدقت عليها دولتا ايطاليا وفرنسا، ومفادها التشديد على الباب العالى بتنفيذ ما جاء فى الفرمان السلطانى المؤرخ ١٢ دسمبر سنة ١٨٧۵م وتعيين مجلس دولى لمراقبة تنفيذه وإجراء كل ما فيه إصلاح حال المسيحيين فى هذه الولايات وأن تبرم الدولة مع الثائرين هدنة قدرها شهران أو ستة أسابيع على الأقل للوصول إلى اتفاق مرض لهم، وأنه إن لم تتفق مع الثائرين فى خلال هذه الهدنة تكون الدول الموقعة عليها مضطرة لاستعمال القوة لإجبار الباب العالى على تنفيذ هذه اللائحة. فيرى فى ذلک المطالع أن الدول كانت متفقة على محاربة الدولة لتقسيم أملاكها فيما بينهم أو بالأقل سلخ جميع الولايات التى بها مسيحيون.

وفى سنة ١٢٩٣ ه حصلت عدة مذابح فى كثير من القرى قتل فيها كثير من المسلمين لتجردهم عن السلاح وعدم إمكانهم رد القوة بمثلها. ولما وصل هذا الخبر إلى الوالى أرسل إلى الآستانة يطلب الجيوش لاتساع نطاق الثورة شيئا فشيئا، وعدم كفاية العساكر الموجودة تحت أمره، ثم وزع كثيرا من الأسلحة على المسلمين ونظمهم بهيئة رديف. ولما أتى إليه المدد أمكنه قمع الثورة بواسطة الألايات المنتظمة والباشبوزوق والرديف واستعمال الشدة مع من يضبط من الثائرين. ولما كادت تخيب مساعى دعاة الفساد أشاعوا

بأوروبا ان العساكر العثمانية ارتكبت ما لا يرتكبه المتبربرون.
وفی شعبان سنة ۱۲۹۳ ه اجتمع مؤتمر بصفة رسمية فی سرای البحرية تحت رئاسة (صفوت باشا) ناظر خارجية الدولة، وانتخب هو رئيسا له لانعقاد المؤتمر فی الآستانة، وعضوية كل من (أدهم باشا) سفير الدولة ببرلين، والكونت (فرنسوا دی بورجوان) والكونت (دی شودوردی) عن فرنسا، والبارون (وزر) عن ألمانيا، والكونت (كورتی) عن إيطاليا، والكونت (زيكی) من أشراف المجر، والبارون (كاليس) النمساوی عن النمسا، والجنرال (اغناتيف) عن روسيا، واللورد (سالسبوری) والسير(هنری ليوت) عن انكلترا. وفی يوم انعقاده اطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب إيذانا باعلان القانون الاساسی الذی ساوی بين جميع رعايا الدولة.

سقوط قارص

وفی أواخر شهر سبتمبر سنة ۱۲۹۴ه اتخذ الجنرال (لوريس مليكوف) خطة الهجوم ثانيا ولعدم إرسال جيوش جديدة إلی (مختار باشا) واستشهاد عدد كبير من جنوده فی هذه الوقائع المستمرة لم يمكنه مقاومة الجيوش الروسية الجديدة التی لم يضنها التعب بل رجع القهقری قاصدا مدينة أرضروم، فتبعه القائد الروسی وهزمه فی موقع يقال له (آلاجه طاغ) ثم حاصر مدينة قارص وفتحها عنوة فی ۱۸ نوفمبر سنة ۱۲۹۴ه بعد أن حاول من بها الخروج من وسط المدافع الروسية، وغنم منها ثلاثمائة مدفع تقريباً.

حل مجلس النواب

واستمر اجتماع مجلس النواب العثمانی إلی أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب إرجاء اجتماعه لأجل غير محدد لعدم ملائمة الظروف لوجوده، وأعلن ذلك رسميا إليه فی يوم ۱۴ فبراير سنة ۱۲۹۵ه، وعقب فضه ضبط كثير من أعضائه ونفوا خارج البلاد بسبب تنديدهم بأعمال الحكومة واعتراضهم علی إجراءاتها، ولم يجتمع بعد ذلك.
أما الوزارات فتعاقبت بسرعة غريبة، مع ان الحكمة كانت تقضی بعدم تغييرها وبقاء الوزراء فی مناصبهم فی مثل هذه الظروف الخطيرة، ففی ۷ محرم سنة ۱۲۹۵ه عزل (أدهم باشا) وعين مكانه (أحمد حمدی باشا) واستبدل أغلب النظار (الوكلاء) بغيرهم. وفی غرة صفر من السنة المذكورة أی بعد ذلك بثلاثة وعشرين يوما ألغی لقب الصدر الأعظم واستبدل بلقب رئيس الوكلاء، ووجه هذا المنصب إلی (أحمد رفيق باشا) الذی كان ناظرا للمعارف فی الوزارة السابقة.
وفی ۱۵ ربيع الثانی سنة ۱۲۹۵ه ولی (الصادق محمد باشا) مسند رئاسة الوكلاء. وفی ۲۷ جمادی الأولی ألغی لقب رئيس الوكلاء وأعيد لقب الصدر الأعظم وأسند إلی (محمد رشدی) الملقب بالمترجم الذی تقلد هذا المنصب أكثر من مرة، ولم يلبث فی هذا المنصب الا ستة أيام، وعزل فی ۴ جمادی الأخيرة وعين مكانه (صفوت باشا) الذی كان وزيرا للخارجية أثناء انعقاد مؤتمر الآستانة قبل إعلان الحرب من روسيا، واستمر هذا الوزير متقلدا منصب الصدارة العظمی إلی ديسمبر سنة ۱۲۹۵ه، حيث أحيل هذا المنصب إلی عهدة (خير الدين باشا).

حادثة جراغان

وفی يوم ۱۷ جمادی الأولی حصلت بالآستانة حادثة كادت تكون سبباً لدخول عساكر الروس اليها واحتلالها عسكريا، وذلك أن شخصا يدعی (علی سعاوی أفندی)، بخاری الأصل، أتی إلی الآستانة لطلب العلم وتحصل علی نصيب وافر من العلوم العربية حتی صار علی جانب عظيم من الفصاحة فی الإنشاد والخطابة، لكنه كان ميالا إلی إثارة الفتن وإلقاء الدسائس، فنفی أولا سنة ۱۲۸۷ه ومكث خارجا عن البلاد تسع سنوات، ثم عاد إلی الآستانة بمسعی (مدحت باشا) وعيّن ناظرا علی المكتب السلطانی الذی يتعلم فيه أولاد (السلطان عبد الحميد)، ثم عزل لعدم تحسن أحواله وتدخله فی الأمور السياسية، وبعد عزله أخذ يدبر فی طريقة لإثارة فتنة فی

الآستانة لعزل (السلطان عبد الحميد) وإعادة (السلطان مراد) إلى عرش الخلافة، وانتهز لذلك فرصة اشتغال الدولة بالمخابرات السياسية واضطراب الأفكار بسبب احتلال الروس لضواحى الآستانة ووجود نحو (١٥٠٠٠٠) نفس من المسلمين المهاجرين من البلاد التى وطئتها عساكر روسيا بخيولها، و منهم من هو غير راض عن الحالة الحاضرة، واتفق مع نحو مائتين منهم على تنفيذ ما يكنه صدره من الفتن.

واجتمعوا فى اليوم المذكور قبل الظهر وانقسموا إلى قسمين، القسم الأول منهم قصد سراية جراغان من جهة البحر تحت رئاسة زعيم يقال له (صالح بک). والثانى تحت رئاسة (على سعاوى أفندى) من جهة البر. وكانوا جميعهم متزيين بزى المهاجرين. ثم اجتمع القسمان عند باب السراية وحاولوا الدخول فيها، فمنعهم الحارس فقتلوه، ودخلوا السراية، وصاروا يفتشون على (السلطان مراد) حتى عثروا عليه فى حجرته، وسلمه (سعاوى أفندى) طبنجة (مسدس).

وفى أثناء ذلك أتت فرقة من الجنود من سراى يلدز المقيم بها (السلطان عبد الحميد) وحاصرت الثائرين من جهة البر. كما حاصرتها قوارب المراكب البحرية من جهة البحر. ولم يمض الا قليل حتى قتل الجند جميع من دخل السراية من الثائرين وفى مقدمتهم رئيس العصابة (على سعاوى). وبعد إطفاء هذه الفتنة والقبض على من بقى حيا منهم، نقل (السلطان مراد) وعائلته إلى قصر داخل ضمن سراى يلدز العامرة، وبذلك هدأت الأفكار وعادت الناس إلى فتح دكاكينهم بعد أن أغلقوها.

وبعد ذلك بثلاثة أيام، أى فى يوم ٢٠ جمادى الأولى التهمت النيران جزءاً عظيماً من الباب العالى نفسه، وأحرقت دائرة شورى الدولة وتوابعها، ودائرة الأحكام العدلية والتشريفات والداخلية وغيرها مع جميع ما فيهما من الأمتعة والفروشات والأوراق الرسمية. ومن المظنون أن هذا الحريق لم يكن الا بفعل أرباب الثورة انتقاما مما أصابهم من الخذلان فى حادثة جراغان.

ومن تأمل إلى خريطة الدولة يتضح له أن الروسية قد محت تركية أوروبا بأجمعها تقريباً من العالم السياسى، ولم يبق للدولة بها الا أربع قطع صغيرة لا اتصال بين ثلاثة منها إلا بطريق البحر ولا بين الثالثة والرابعة الا بطريق ضيقة تمر بين أراضى الصرب والجبل الأسود، ولا يزيد اتساعها فى بعض المواضع عن خمسة كيلومترات بحيث يتيسر لإحدى الأمارتين منع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق عليها كلية، والقطعة الأولى هى مدينة الآستانة وضواحيها، والثانية مدينة سلانيک والبحيث جزيرة القريبة منها، والثالثة مكونة من بلاد ابيروس وجزء من بلاد الارنؤود، والرابعة من إقليمى البوسنه والهرسک. وما بقى من أملاكها أعطى منه جزء للصرب وآخر للجبل الأسود وشكل الباقى بصفة إمارة مستقلة إداريا تسمى إمارة بلغاريا تمتد من الطونه إلى البحر الأسود شرقا، وبحر الارخبيل جنوبا، وتحيط بمدينة الآستانة من جميع جهاتها البرية، وزد على ذلک ما اشترط من احتلال الجنود الروسية لبلاد بلغاريا مدة سنتين.

أما فى آسيا فأخذت قلاع قارص وباطوم وبايزيد إلى حدود أرضروم تقريباً، واعترف الباب العالى ضمن هذه المعاهدة باستقلال كل من الصرب والجبل الأسود ورومانيا استقلالا سياسيا تاماً، وبالتنازل لمملكة رومانيا عن إقليم الدبروجه مقابل سلخ إقليم بساربيا من رومانيا وضمها إلى روسيا لتنظيم حدودها، حتى يكون كل من نهرى البروث والطونه من ابتداء اتحاد البروث معه إلى البحر الأسود فاصلا بين رومانيا وروسيا. ولم يراع فى هذه التقسيمات صالح الأمم المراد سلخها عن الدولة ولا حدودها، بل أضافوا إلى إمارة البلغار بلادا كثيرة أغلب سكانها من الأروام والصرب، وإلى الصرب والجبل الأسود بلادا بها كثير من الأرنؤود المسيحيين والمسلمين.

القانون الأساسى والسلطان عبد الحميد

خلع (السلطان مراد) سنة ١٢٩٣ه وجلس (السلطان عبد الحميد) على عرش الخلافة، وكان قد وعد رئيس الأحرار (مدحت باشا) قبل جلوسه على العرش بمنح القانون الأساسى، وإمتاع الأمة العثمانية بالحرية.

إلا أن (عبد الحميد) أظهر حين جلوسه علامات دلت على إخلافه وعده، فمن ذلک أنه جمع أعداء الأحرار وأضداد القانون الأساسى

وعينهم فى السراى لتقوية مركزه، مع أنه وعد (مدحت باشا) بتعيين الشاعر العثمانى الكبير (نامق كمال بك) زعيم الانقلاب باشكاتبا، و(ضياء باشا) الأديب السياسى الشهير مشيرا للمابين، فأخلف وعده. كما أنه كان يسعى جهده لاستمالة الرأى العام إليه، فكان يخدع الأهالى، الا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضلة فى سبيل القانون الأساسى.

وقرر (السلطان عبد الحميد) تعيين (مدحت باشا) كى ينظر فى مسألة المؤتمر الأوروبى الذى قررت الدول عقده فى الآستانة. وفى اليوم السابع من شهر ذى الحجة سنة ۱۲۹۵ ه اجتمع الوكلاء والعلماء والأمراء وغيرهم فى الباب العالى، ثم أقبل (مدحت باشا) وقرأ الارادة الشاهانية التى منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية، فهتفوا له جميعا وحياه العثمانيون من صميم قلوبهم، واذ ذاك أطلقت القنابل تحية للقانون الأساسى. وكان أعضاء المؤتمر الدولى مجتمعين فى الطوبخانة، وبينما كانوا يتباحثون فى النقط التى سيتناقشون فيها سمعوا القنابل وهى تدوى فقام (صفوت باشا) ناظر الخارجية وقال للأعضاء: (أن الأمة العثمانية قد نالت مطالبها الشرعية وهى تتمتع بحريتها الشرعية فلا لزوم لهذا الاجتماع بعد هذا الانقلاب) فوجم الجميع وظلوا ساكتين، فطلب سفير روسيا المناقشة فى الموضوع، ولكن المندوبين العثمانيين انسحبا وخرجا وقد قام العثمانيون بمظاهرة ضد اجتماع المؤتمر الدولى وطلبوا الحرب.

اجتماع مجلس المبعوثين الأول

اجتمع مجلس المبعوثين لأول مرة سنة ۱۲۹۵ه فى سراى طولمه باغجة، وافتتحه (السلطان عبد الحميد) بخطابة مطولة بحث فيها بعد مقدمة تاريخية عن الامتيازات التى منحت للعناصر غير المسلمة، ثم القروض التى عقدت بعد حرب القرم، ثم الاختلالات المالية التى حدثت أثناء حكم (السلطان عبد العزيز) فى عصيان البوسنة والهرسك، ثم وجوب منح القانون الأساسى لتخليص الدولة من الاضمحلال والانقراض، ثم قال:

(عليكم أيها الأعضاء هذه السنة أن تضعوا النظامات الداخلية للمجلس، وقانون الانتخاب، وقوانين ادارة الولايات والنواحى، وقانون البلدية، وأصول المحاكمات المدنية، وقانون ترقية الموظفين وقانون المطبوعات وديوان المحاسبات والتدقيق فى الميزانية).

على أنه لم يكد ينتظم مجلس المبعوثين وينظر فى شؤون الدولة حتى صدرت الارادة الشاهانية بفضّه، فتقوضت كل أركان ذلك البناء وابتليت الأمة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى فى عصور الظلمات.

هدم (السلطان عبد الحميد) ما بناه الأحرار، ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة فى رؤوس العثمانين، فإن هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظلم، لاسيما وألوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت فى كل مكان.

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة أواخر شهر يونيو سنة ۱۹۰۸م، فأرسلت الحكومة الحميدية (شمسى باشا) لاقتفاء أثر عصابة (نيازى بك)، ولكنه قتل قبل أن يبدأ فى مهمته. وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم.

ولكن (السلطان عبد الحميد) استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية أن يحمل الحملة الأخيرة. فأطلقت القنابل على حامية الباب العالى والنادى العسكرى، واستولت عليهما. ثم قبضت على الكثيرين من أنصار الحكم القديم الذين أثاروا الفتن، ومن بينهم (مراد بك الداغستانى)، وأعدم الجواسيس رميا بالرصاص، ويقدر عدد القتلى ب(۱۲۰۰) قتيل، وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات اسكودار، فاستولت عليها. ولم يبق إذ ذاك أى خطر على القانون الأساسى، فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجمعية العمومية لتتداول فى أمر (السلطان عبد الحميد). وكانت النتيجة عزل (السلطان عبد الحميد) وتولية (السلطان رشاد) مكانه.

خليفة العثمانيين محمد رشاد خان الخامس

ولد سنة ۱۲۶۰ ه وقد قضى أغلب عمره في قصر زنجيرلي كوى محوطا بالجواسيس الذين يرصدون حركاته ويقدمون التقارير المشوهة عنه. فظل كذلك إلى حين حدوث الانقلاب العثماني، وتخلص مع الشعب العثماني من الاستبداد والمراقبة، اذ دالت دولة الجواسيس وثل عرش الاستبداد. الا ـ أن (عبد الحميد) الذى طبع على الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحرية راقية أوج الكمالات.. منظمة امورها بنفسها.. مقيمة العدل، فسوّلت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الادارة الدستورية.

اجتمع المجلس العمومى اجتماعا سريا وخلع (عبد الحميد) بموجب فتوى من شيخ الإسلام هذا نصها:

(إذا اعتاد زيد الذى هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية، وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها، وان يبذر ويسرف فى بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعى، وأن يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم ويغربهم بغير سبب شرعى وسائر أنواع المظالم، ثم ادعى أنه تاب وعاهد الله وحلف أنه يصلح حاله، ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة وأصر على المقاتلة، وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور، ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر، وزواله محتمل الصلاح، فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة، على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأُولى الأمر من هذين الوجهين)؟.

الجواب: (يجب).

كتبه الفقير

السيد محمد ضياء الدين عفى عنه

فلمّا قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام (محمد ضياء الدين افندى) فى المجلس العمومى المؤلف من المبعوثين والاعيان، ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذى هو أحد الوجهين المخير بينهما، فأسقط (السلطان عبد الحميد خان) من الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية، وأصعد ولى العهد (محمد رشاد أفندى) باسم (السلطان محمد خان الخامس) إلى مقام الخلافة والسلطنة وكان خلع (عبد الحميد) سنة ۱۹۰۹م.

أواخر سلاطين بنى عثمان

إن آخر من ذكره المؤلف من سلاطين آل عثمان هو (السلطان محمد رشاد الخامس) وقد جاء ذكره استدراكا فى هذه الطبعة التى بين أيدينا لأن المؤلف ذكر فى المقدمة (السلطان عبد الحميد الثانى) على اعتبار أنه خليفة المسلمين وأنه حى يرزق. ومن هذا يبدو بأن هذا الكتاب كتب قبل سنة ۱۹۰۹م ثم أعيد طبعه سنة ۱۹۱۲م، أى بعد مرور ثلاث سنوات على خلافة (محمد رشاد)، كما جاء فى حديث المؤلف عن هذا السلطان، ولذا فإنه لم يذكر عنه شيئا ذا شأن ولم يتعرض لما كانت تعانيه البلاد من اضطرابات ورثها عن أسلافه، ومن ذلك ظهور الحزبية فى الدولة، وضياع طرابلس الغرب واستقلال أكثر دول البلقان. ثم ظهور النزعة التركية بقوة وعنف، وأعنى بذلك سعى حزب الاتحاد والترقى الذى استلم الحكم فى البلاد إلى تتريك الشعوب غير التركية المشتركة مع العثمانيين، مثل العرب والشركس والأكراد والأرمن وبالتالى نشوب الحرب العالمية الاولى التى كان فيها القضاء على الدولة العثمانية بعد ان عاشت ستمائة سنة.

لقد تولى (محمد رشاد) العرش والدولة فى احتضار ولكنها كانت متماسكة وشاء القدر أن لا تلفظ أنفاسها فى عهده وأن لا يشهد مأتمها بل أن يكون ذلك من نصيب خليفته، حيث أن (محمد رشاد) مات قبل ذلك.

ومن سوء طالعه أنه اعتلى العرش وجناح الدولة مهيض، وقد أضاعت كثيراً من بلادها فى أوربا بعدت معاهدتى (سان استيفان) و(برلين)، وسوس القوميات ينخر فى جسم الدولة، والأيدى الأجنبية تلعب بالقلوب والجيوب، و البلاد فى حالة إفلاس بسبب الحروب المتواصلة، والأوربيون قد تسلّطوا على مالية الدولة بحجة استيفاء ما لهم عليها من ديون.

يوسف عزالدين

كانت ولايـة العهـد بعـد (محمد رشاد) للأمير (يوسف عزالدين)، لأن ولاية العهد فى الدولة العثمانية كانت من حق أكبر أفراد الأسـرة المالكة سنا، بعد الجالس على العرش وليس من حق أكبر أولاد الجالس على العرش. وقد مات مسموماً، قتله الاتحاديون لأنه لم يكن يرى رأيهم، ولا يوافقهم على سياستهم، وأشيع أنه مات منتحرا إثر نوبة جنون أصابته كالتى أصابت أباه (عبد العزيز) فانتحر.

محمد وحيد الدين السادس بن مراد

بعـد وفـاة (يوسف عزّ الـدين) صـارت ولايـة العهـد إلى الأـمير (وحيـد الـدين)، فخلف أخاه (محمـد رشاد) على العرش باسم (محمد السادس) ولم تمض على خلافته بضـعة شـهور حتى استسـلمت الدولة العثمانية واستولت جيوش الأعداء على كل البلاد من شرقها إلى غربها ومن شـمالها إلى جنوبها، ولم يسـلم من ايـديهم وتعدياتهم إلا شـرق الاناضول، لأن روسـيا كانت قد انسـحبت من الحرب سـنة ١٩١٧م بعد ان فرضت عليها الشيوعية، ولذا فإنها لم تستطع ان تحرك ساكنا لتستولى على شرق الاناضول. ولولا ذلك لما بقى بلد من بلاد الدولة العثمانية لم يدخل فى حوزة اعدائها.

أراد (وحيـد الـدين) أن ينقـذ ما يمكن انقاذه من البلاد، فاسـتعان (بمصـطفى كمال) وعهـد إليه بإنقاذ البلاد، ولكنه وضع ثقته فى غير موضـعها، فلمـا رأى أن (مصـطفى كمـال) أخـذ يعمـل لحسابه الخاص وليس لحساب الدولـة، ورأى أن الأمور تسـير على غير ما كان يرجو، تنازل عن العرش سنة ١٩٢٢م واعتزل الحياة السياسية ومات سنة ١٩٢٦م.

عبد المجيد بن عبد العزيز

واعتلى عرش السـلطنة العثمانيـة، بعـد تنازل (السـلطان محمـد وحيـد الدين)، ولى العهد الذى اصبـح (السـلطان عبد المجيد)، وبعد أن أصبح (مصطفى كمال) سيد الموقف جرد السلطان من السلطة الزمنية، ثم ألغى الخلافة سنة ١٩٢۴م وطرد (عبد المجيد) فذهب ليعيش فى منفاه فى مدينة (نيس) الافرنسية على الشاطئ اللازوردى.

الخاتمة

ما هى الأسباب التى أدت إلى انهيار الدولة العثمانية؟

إذا كان بعض الناس يعطون للدول أعمارا كأعمار المخلوقات ويقولون إن الدول تشيخ وتهرم فتموت بفعل مرور الزمن فأنا لست أرى هـذا الرأى ولا أرى الـدول تشبه المخلوقات ذات الأعمار المحدودة. وإنما عمر الدول يتجدد بتجدد الأجيال. فإذا كانت الأجيال التى تعيش فى دولة ما من الدول حية قوية نشيطة عاملة واعية عاشت الدولة ما عاشوا متمتعين بهذه الصفات لأن عمر الدولة يتجدد مع كل جيل.

وأما إذا كانت هذه ضـعيفة كسولة متواكلة مهملة ماتت دولتهم بموتهم لكى تعيش فى غيرهـم ممن يصلحون للحياة، فالدولة لا تموت بذاتها إذ ليس فيها ما يموت وإنما تموت بأهلها.

فبعد أن تقرر لدينا هذا يجب علينا أن نبحث عن الأسـباب التى أدت إلى زوال الدولة العثمانية بعد أن سـيطرت على العالم بضعة قرون كانت فيها ملئ عين الزمان وسمعه، لا بل كانت فمه القائل ويده الباطشة ولسانه الناطق.

وترجع هذه الاسباب، فى نظرى، إلى:

•زواج السـلاطين بالأجنبيـات وتسـلّط هؤلاـء الأجنبيـات على عواطـف أزواجهن وتصـريفهم فى سـياسة بلاـدهن الأصـلية وتحكمهنّ

بمقدرات الدولة. فكم من الملوك قتلوا أولادهم أو إخوانهم بدسائس زوجاتهم وارتكبوا أعمالا تضرُّ بمصلحتهم إرضاء لزوجاتهم.

•تعدد الزوجات والمحظيات اللواتی كان الأجانب والحكّام يقدمونهن هدية للسلطان كأنهن السلع أو التحف واللواتی كان السلاطين إذا رأوا كثرتهن فی قصورهم يهدونهن أحياناً إلی قادتهم أو خواصهم علی سبيل التكريم. وكان من البديهی أن يحصل بين أولاد الأمهات وأمهات الأولاد، سواء أكانت الامهات زوجات أو محظيات، تحاسد وتباغض يؤديان إلی قتل السلاطين أولادهم وإخوانهم وإلی أمور غير معقولة ومقبولة عقلاً وشرعاً.

•تفكك روابط الأسرة السلطانية بسبب كثرة النساء حتی أصبحت عادة قتل السلطان إخوانه أو أولاده، يوم يتولی العرش، أمرا معروفا و مألوفا. وكأنه يضحی بخراف احتفاء بهذا اليوم من غير أن يشعر بوخز ضمير أو لسعة ألم.

ولذا فقد كان أفراد الأسرة السلطانية يعيشون فی خوف مستمر ويتربص بعضهم بالبعض الآخر الدوائر ولا يبالون بأن يشقوا عصا الطاعة فی وجه السلطان سواء أكان أخا أم أبا أم ابنا وذلك ليس حبا بالسيطرة فقط بل لإنقاذ أعناقهم أحياناً من الغدر.

•تدخّل نساء القصر بالسياسة وشفاعتهن لدی أزواجهن السلاطين برفع الخدم إلی منصب الوزارة أو إيصال المتزلفين إلی مراتب الحل و العقد، كرئاسة الوزارة وقيادة الجيش. وفی كثير من الأحيان لا يكون لهؤلاء الرجال من ميزة يمتازون إلا تجسسهم لحسابهن.

•بقاء أولياء العهد مسجونين فی دور الحريم فلا يرون من الدنيا شيئا ولا يعلمون شيئا، و كثيرا ما كانوا لا يتعلمون شيئا أيضا لأنهم لم يكونوا يدرون إلی ما سيصيرون فإما أنهم يذهبون ضحية مؤامرة قبل أن يصلوا إلی العرش وإما أنهم يصلون إلی العرش لكی يجدوا فئة من الناس تسيطر عليهم وتتحكم بهم أو يسحبون عن العرش ويقتلون أو تسيرهم نساء القصر أو يسيرهم جهلهم.

وتسليم أمور الدولة إلی غير الأكفاء من الناس إذ كان طباخ القصر وبستانيه وحطابه والخصی والخادم يصلون إلی رتبة رئاسة الوزارة أو القيادة العامة للجيش. فماذا ينتظر من جاهل أن يفعل؟

•احتجاب السلاطين وعدم ممارستهم السلطة بأنفسهم والاتكال علی وزراء جهال. فقد كان سلاطين آل عثمان حتی (السلطان سليم الأول) يتولون قيادة الجيش بأنفسهم، فيبعثون الحماسة والحمية فی صدور الجنود، ثم صار السلاطين يعهدون بالقيادة إلی ضباط فصار الجنود يتقاعسون و يتهاونون تبعا للمثل القائل: (الناس علی دين ملوكهم).

•تبذير الملوك حتی بلغت نفقات القصور الملكية فی بعض الأحيان ثلث واردات الدولة.

•خيانة الوزراء، إذا أنّ كثيرًا من الأجانب المسيحيين كانوا يتظاهرون بالاسلام ويدخلون فی خدمة السلطان ويرتقون بالدسائس والتجسس حتی يصلوا إلی أعلی المراتب، وقد أبدی (السلطان عبد الحميد) استغرابه من وفرة الأجانب الذين تقدموا إلی القصر يطلبون عملا فيه حتی ولو بصفة خصيان وقال: لقد وصلنی فی أسبوع واحد ثلاث رسائل بلغة رقيقة يطلب أصحابها عملاً فی القصر حتی ولو حراسا للحريم، وكانت الرسالة الأولی من موسيقی افرنسی، والثانية من كيمائی ألمانی، والثالثة من تاجر سكسونی. وعلق السلطان علی ذلك بقوله: من العجب أن يتخلی هؤلاء عن دينهم وعن رجولتهم فی سبيل خدمة الحريم. فهؤلاء وأمثالهم كانوا يصلون إلی رئاسة الوزارة، ولذا فقد قال (خالد بك) مبعوث أنقره فی المجلس العثمانی بهذا الصدد: لو رجعنا إلی البحث عن أصول الذين تولوا الحكم فی الدولة العثمانية وارتكبوا السيئات والمظالم باسم الشعب التركی لوجدنا تسعين فی المائة منهم ليسوا أتراكا.

•غرق السلاطين و الأمراء فی الترف والملذات.

•الحروب الصليبية التی شنّت علی الدولة والتی لم تنقطع منذ ظهورها إلی يوم انهيارها.

•الامتيازات التی كانت تمنح للأجانب اعتباطا بسخاء وكرم لا مبرر لهما بل كانت تمثل التفريط بحق الوطن فی أقبح صوره، فقد منحت الدولة العثمانية، وفی أوج عظمتها وسلطانها، امتيازات لدول أجنبية جعلتها شبه شريكة معها فی حكم البلاد. ولا أری سبباً لهذا الاستهتار الا الجهل وعدم تقدير الأمور قدرها الحقيقی وتقدير قوة ودهاء الدول التی منحت هذا الامتيازات والعاقل لا يستهين بعده مهما كان صغيرا و ضعيفا.

●الغرور الـذى أصاب سـلاطين بنى عثمان الذين فتحت لهم الأرض أبوابها على مصـراعيها يلجونها كما يشاءون. وإن من يقرأ كتاب (الملك سـليمان القانونى) إلى ملك فرنسا لا يجد فيه ما يشبـه كتاب ملك إلى ملك أو إمبراطور عظيم إلى ملك صغير أو حتى إلى أمير، بل يجده وكأنه كتاب سيد إلى مسود. ومن يطالع صيغ المعاهدات، فى أوج عظمة الدولة، وما كان يضفى فيها على سلاطين بنى عثمان من ألقاب يكادون يشاركون بها الله تعالى فى صـفاته بينما تكون ألقاب الأباطرة و الملوك عادية، أقول إن من يطالع صيغ هذه المعاهدات يدرك إلى أى حد بلغ بهؤلاء السلاطين الجهل و الغرور.

●إدخال [ما سـموه ب] الدين فى كل صـغيرة و كبيرة من أمور الحياة والسير بعكس ما يأمر به الدين، باسم الدين، حتى أصبح الدين ألعوبـة فى أيـدى قبضـة من الجهـال يحللون ويحرمون على هواهم، ومثـال ذلـك إدخال أمر تغيير اللباس فى نطاق الـدين ثم لما أراد أحـدهم إنشاء مطبعـة فى اسـتانبول ووجـد معارضـة من قبل علماء الدين لجأ إلى السـلطان وإلى حاشـيته يطلب إليهم أن يقنعوا هؤلاء الجهال بفائـدة المطابع فأمر السلطان شـيخ الاسـلام بأن يفتى بأن المطبعـة نعمـة من نعم الله وليست رجسا من عمل الشـيطان كما أفتى العلماء من قبل فأفتى شـيخ الإسلام بجواز إنشاء مطبعة شريطة ألا تطبع القرآن الكريم ولا كتب التفسير و الحديث و الفقه. وقد أنشئت أول مطبعة فى استانبول سنة ۱۷۱۲م أى بعـد أن كان قد مضـى على اختراع المطبعة ما يزيد على قرنين ونصف القرن وبعد أن أنشأت فرنسا المطبعة الوطنية بنحو قرنين.

هـذه الأسـباب هى التى قضت على الدولـة العثمانيـة وأنزلتها من شامخ عزها إلى حضـيض المذلة والهوان. وإن من يدرس بإنعام نظر، كل سـبب من هذه الأسباب المذكورة آنفا ويرى مدى تأثيره الواسع فى المحيط الدولى لا يعجب من انهيار هذه الدولة العظيمة تحت سياط هذه الضـربات بل يعجب كيف استطاعت أن تعيش ستمائة سنة وهى تتحمل هذه الضربات القاسية التى نزلت بها والتى لو نزلت على جبـل لصـدعته، ولكنهـا عـاشت بفضـل اختلاـف أعـدائها على تقسـيمها فيمـا بينهم وبفضـل إيمـان أهلها وتمسـكهم إلى حـد ما بالإسلام.

ومن المؤسف المحزن أن يهـدم أبناء أولئك المؤمنين بتنكرهم للـدين و بتخاذلهم ما بناه آباؤهم وأجـدادهم بجـدهم وجهـدهم وبما قدموه من تضحيات بالدماء و الأرواح...

وليس لتركيا ما ينجيها إلا الرجوع إلى الدين، فالدين هو الحصن الوحيد الذى يمكن أن يحمى الدولة من شرور الأعداء...

إن الحركـة الاسـلامية فى تركيـا على أشـدها وأن العلمانيين هم رجال الحكومـة وأما الشـعب فهو بأكثريته مسـلم متعصب ومتمسـك بإسلامه، ويتبنى قضايا العالم العربى والإسلامى بحماس بالغ.

فعلى الحكومـة أن تسـتفيد من هـذا الروح الإسـلامى وأن تسـتغل هـذه الطاقـة التى هى أقوى طاقة إذا فجرت تزيل الجبال. لقد انتصـر العثمـانيون بإسـلامهم وتلاـشوا بـانحرافهم عن الإسـلام أو بالأـحرى بـانحراف حكـامهم عن أحكـام الإسـلام وإن كـانوا ظلوا يرددون الإسلام بأفواههم، وليس لهـم اليوم إلا الإسلام لكى يعودوا سادة محترمين.

***

هذا آخر ما أردنا تلخيصه فى هذا الكتاب..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازى

پی نوشتها

-الموافقة سنة ۱۲۸۸م.

۲- أی أولاد (أرطغرل).

- الموافقة سنة ۱۲۸۹م.

۴- الموافقة سنة ۱۳۰۰م.

۵- یکی شهر: تقع شمال شرق مدینة بورصة.

۶- وعندما تقرأ تاریخ الرسول الأعظم (صلی الله علیه وآله وسلم) والإمام أمیر المؤمنین ? تری الفرق الکبیر بین طریقتهم (علیهم السلام) وطریقة هؤلاء.

۱- الموافقة سنة ۱۳۱۷م.

- الموافقة سنة ۱۲۸۱م.

- الموافقة سنة ۱۳۲۶م.

۳- ای رئاسة الوزراء باصطلاح الیوم.

- یوم ۱۶ یونیو سنة ۱۸۲۶م.

۵- سنة ۱۳۵۹م.

- سنة ۱۳۶۰م.

- سنة ۱۳۲۶م.

۳- سنة ۱۳۶۱م.

- سنة ۱۴۵۳م.

- سنة ۱۳۸۶م.

- سنة ۱۳۸۹م.

-سنة ۱۳۶۰ م.

- سنة ۱۳۹۴م.

۱- (بافاریا) الآن ضمن حدود المانیا. و(استیریا) هی النمسا و(شوالیه) المقصود منها رئیس طائفة القدیس یوحنا.

- ۲۷ سبتمبر ۱۳۹۶م.

-۲۰ یولیو سنة ۱۴۰۲م.

-۱۰ مارس سنة ۱۴۰۳م.

- سنة ۱۴۱۰م.

-سنة ۱۴۱۳میلادیة.

-سنة ۱۴۲۱م.

-سنة ۱۴۰۳م.

-سنة ۱۴۲۱م.

- سنة ۱۴۲۳م.

- سنة ۱۴۳۱م.

- سنة ۱۴۳۳م.

- سنة ۱۴۳۸م.

– هرمانستاد فی رومانیا إلی الشمال الغربی من العاصمة بخارست.

–۷ فبرایر سنة ۱۴۴۵م.

–۷ فبرایر سنة ۱۴۵۱م.

– ۲۰ آبریل سنة ۱۴۲۹م.

– أوائل أبریل سنة ۱۴۵۳م.

– وبعدها أخذ السلطان یفکر فی طریقة لدخول مراکبه إلی المیناء لاتمام الحصار برا وبحرا، فخطر بباله فکر غریب، وهو ان ینقل المراکب علی البر لیجتازوا السلاسل الموضوعة (فی البحر) لمنعه. وتم هذا الأمر المستغرب بأن مهّد طریقا علی البر، اختلف فی طوله والمرجح أنه فرسخان أی ستة أمیال ورصّت فوقه ألواح من الخشب صبّت علیها کمیة من الزیت والدهن لسهولة زلق المراکب علیها. وبهذا الکیفیة أمکن نقل نحو سبعین سفینة فی لیلة واحدة، حتی إذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أیقنوا أن لا مناص من نصر العثمانیین علیهم.

–۲۹مایو سنة ۱۴۵۳م.

– أی إلی القسطنطینیة.

– سنة ۱۳۹۳م.

– سنة ۱۴۶۷م.

– ۱۳ اکتوبر سنة ۱۴۷۶م.

– سنة ۱۴۷۵م.

– سورة المائدة: ۴۵.

– سنة ۱۴۴۷م.

– zizim.

– ۴ مایو سنة ۱۴۸۱م.

– سنة ۱۷۷۴م.

–۲۰ یولیو سنة ۱۴۸۱م.

– ویکتبها بعض (قایتبای).

– رودوس rodhos: جزیرة صغیرة تقع فی البحر الأبیض المتوسط عند مدخل بحر ایجه.

–۲۳ یولیو سنة ۱۴۸۲م.

– سنة ۱۴۸۹م.

–borgia

–۱۴ فبرایر سنة ۱۴۹۵م.

– ۱۴۹۲م.

– سنة ۱۵۱۱م.

–۲۵ أبریل سنة ۱۵۱۲م.

–۲۶ مایو سنة ۱۵۱۲م.

– الملقب ب[یاوز] ای القاطع.

-۲۴ أبريل سنة ۱۵۱۳م.

- سنة ۱۵۰۸م.

- سنة ۱۵۰۸م.

- سنة ۱۵۱۰م.

-۲۴ أغسطس سنة ۱۵۷۲م.

- والمقصود أنه أعلن (السلطان سليم) الحرب على (الشاه اسماعيل).

-۱۹ مارس سنة ۱۵۱۴م.

- الصحيح وادى (جالدران).

-۲۴ أغسطس سنة ۱۵۱۴م.

- من أهم أسباب انكسار جيش (الشاه اسماعيل) هو عدم وجود جيش نظامى للدولة وعدم تعرّفهم على نظام المدفعية الذى كان سبب انتصار العثمانيين فى هذه المعركة، ومع ذلك فقد قام (الشاه اسماعيل) مع عدّة من الخيالة بعملية انتحارية باقتحام صفوف العثمانيين وإبادة المدافع وإتلاف الذخيرة والعودة.

-۴ سبتمبر سنة ۱۵۱۴م.

- سنة ۱۵۱۵م.

- أى إلى القسطنطينية.

-وفى بعض التواريخ انه قتل من الشيعة فى هذه البلاد قتلا عاما حتى وصل عدد القتلى إلى ستمائة ألف. (محمد).

-۲۴ أغسطس سنة ۱۵۱۶م.

-سنة ۱۰۹۱م.

- سنة ۱۵۱۷م.

- ۲۲أيلول سنة ۱۵۲۰م.

-۲۷ أبريل سنة ۱۴۹۵م.

-۲۹ سبتمبر سنة ۱۵۲۰م.

- سورة النمل: ۳۰.

-۲۱ ديسمبر سنة ۱۵۲۲م.

-أول يناير سنة ۱۵۲۳م.

-سنة ۱۷۹۸م.

- سنة ۱۵۲۴م.

- سنة ۱۵۲۵م.

- سنة ۱۵۲۵م.

- بودابست عاصمة المجر (هنغاريا) وهى فى الاصل مؤلفة من مدينتين (بود) و(بست).

- (فينّا) أو (ويانة) كما يكتبها الاتراك، لانهم يلفظون حرف الواو قريبا من حرف الفاء. وهى عاصمة النمسا.

- سنة ۱۵۵۳م.

-۲۱ سبتمبر سنة ۱۵۵۳م.

-۲۵ سبتمبر سنهٔ ۱۵۶۱م.

-۵ سبتمبر سنهٔ ۱۵۶۶م.

-۱۰ مايو سنهٔ ۱۵۳۳م.

-۲۴ ديسمبر سنهٔ ۱۵۶۶م.

-۱۷ اكتوبر سنهٔ ۱۵۷۱م.

-۱۲ دسمبر سنهٔ ۱۵۷۴م.

-۴ يوليه سنهٔ ۱۵۴۶م.

- سنهٔ ۱۵۷۸م.

- ۱۵۸۰م.

- بلاد الكرج معروفهٔ الآن ب (جورجيا) احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق.

- سنهٔ ۱۵۹۳م.

-۱۹ يناير سنهٔ ۱۵۹۵م.

-مايو سنهٔ ۱۵۶۶م.

- المقصود: المدنيّة.

- وهم ما يسمّون اليوم بالمرتزقهٔ.

- أى ذو الرأس الفاسد.

- حصلت بين الجيوش العثمانيهٔ وبين جيوش المجر و النمسا، وكان النصر فيها للعثمانيين.

- أحد رؤساء المرتزقهٔ.

- سنهٔ ۱۶۰۱م.

-۱۶ ديسمبر سنهٔ ۱۶۰۳م.

-۱۸ ابريل سنهٔ ۱۵۹۰م.

- لقب هذا الشاه بالكبير، وخلف محمد ميرزا فى الملك سنهٔ ۱۵۸۵ ونودى به ملكا فى خراسان، ثم سار إلى مدينهٔ مشهد التى كانت قد احتلتها قبائل الأوزبك فاستخلصها منهم، وانتصر عليهم بقرب مدينهٔ هرات سنهٔ ۱۵۹۷م ثم حارب الترك واستخلص منهم الولايات التى سبق أخذها من مملكهٔ الصفويين واحتل مدائن بغداد والموصل ودياربكر، ثم اتحد مع شركهٔ الهند الانكليزيهٔ وطرد البرتغاليين من ثغر هرمز. وتوفى سنهٔ ۱۰۳۷ه الموافقهٔ سنهٔ ۱۶۲۸م بعد أن حكم البلاد مدهٔ ثلاث وأربعين سنهٔ.

- أى ذو الروح الفولاذيهٔ.

- الأصح: استرجع فهى كانت عاصمهٔ الدولهٔ الصفويهٔ أيام (الشاه إسماعيل).

- سنهٔ ۱۶۱۱م.

- سنهٔ ۱۶۱۲.

- سنهٔ ۱۶۱۱م.

- سنهٔ ۱۶۱۴م.

- سنهٔ ۱۶۱۴م.

- سنهٔ ۱۶۰۴م.

- سنة ١٦٠٩م.

- سنة ١٦١٢م.

-هى مجموعة (هولاندا) و(بلجيكا).

-٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧م.

- المسؤول عن جناح محظّيات السلطان.

-٢٦ فبراير سنة ١٦١٨م.

- سنة ١٦٢١م.

- سنة ١٦٢٠م.

-٢٠ مايو سنة ١٦٢٢م.

-١١ سبتمبر ١٦٢٣م.

-سنة ١٦٣٩م.

-٢٩ أغسطس سنة ١٦٠٩م.

-٩ فبراير سنة ١٦٣٢م.

-١٩ مايو سنة ١٦٣٢م.

-١٠ أغسطس سنة ١٦٣٥م.س

-١٥ نوفمبر سنة ١٦٣٨م.

-٢٥ ديسمبر سنة ١٦٣٨م.

-١٧ أغسطس سنة ١٦٣٨م.

-١٩ سبتمبر سنة ١٦٣٩م.

-فبراير سنة ١٦٤٠م.

-٤ نوفمبر سنة ١٦١٥م.

- سنة ١٦٤٢م.

-٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥م.

-أول يناير سنة ١٦٤٢م.

-٨ أغسطس سنة ١٦٤٨م.

- أى سائق البغال.

- جزيرتين صغيرتين تشكلان معا قلاعا لحماية مدخل الدردنيل.

- ملك بولونيا الذى أتى لمحاربة المسلمين بناءا على إلحاح البابا عليه.

- وبعد استخلاص مدينة (فينا) تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة ماطا والبابا ومملكة الروسيا على محاربة الدولة العثمانية وأطلق على هذه التحالف (التحالف المقدس).

- سنة ١٦٨٥م.

- ٢ / ٦ / ١٦٨٦م.

- ١٢ أغسطس سنة ١٦٨٧م.

– ۸ نوفمبر سنة ۱۶۸۷م.

– ۱۷ ديسمبر سنة ۱۶۹۲م.

–۱۵ أبريل سنة ۱۶۴۲م.

– سنة ۱۶۸۷م.

– سنة ۱۶۸۸م.

– سنة ۱۶۸۹م.

–۲۳ يونيه سنة ۱۶۹۱م.

–۲۵ فبراير سنة ۱۶۴۳م.

–۱۹ أغسطس سنة ۱۶۹۱م.

– سنة ۱۶۹۴م.

–۷ فبراير سنة ۱۶۹۵م.

–۲ يونيه سنة ۱۶۶۴م.

– بلدة فى الشمال الشرقى من يوغسلافية بالقرب من الحدود الرومانية.

–۱۲ سبتمبر سنة ۱۶۹۷م.

–۲۶ يناير سنة ۱۶۹۹م.

–۱۵ أغسطس سنة ۱۷۰۳م.

–۳۱ ديسمبر سنة ۱۷۰۳م.

–۲۳ ديسمبر سنة ۱۶۷۳م.

–۱۵ نوفمبر سنة ۱۷۰۳م.

–۲۸ سبتمبر سنة ۱۷۰۴م.

–۲۵ يوليه سنة ۱۷۱۱م.

–۱۸ يونيو سنة ۱۷۱۳م.

– البحيث جزيرة: يقصد بها شبه الجزيرة.

– سنة ۱۷۱۸م.

– تعرف الآن ب (جورجيا).

– امبراطور روسيا.

– سنة ۱۷۲۵م.

–۲۸ سبتمبر سنة ۱۷۳۰م.

–۳ أغسطس سنة ۱۶۹۶م.

–۱۰ يناير سنة ۱۷۳۲م.

–۲۴ سبتمبر سنة ۱۷۳۶م.

– سنة ۱۶۳۹م.

– هما الآن ضمن الحدود السياسية لرومانيا.

-١٣ ديسمبر سنة ١٧٥۴م.

-سنة ١۶٩۶م.

-٢٢ أكتوبر سنة ١٧۵۵م.

-١٣ ديسمبر سنة ١٧۵۶م.

-٢١ يناير سنة ١٧٧۴م.

-سنة ١٧٢۴م.

- ٢١ يوليو ١٧٧۴م

-٨ أبريل سنة ١٧٨٩م.

-سنة ١٧۶٢م.

- ٣١ يوليو وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩م.

- ¬سنة ١٧٩۶م.

-الموافقة سنة ١٧٩٧م.

- الموافقة سنة ١٧٩٨م.

- سنة ١٧٩٨م.

- ١يوليو.

- سنة ١٨٨٢م.

-٢٨ يوليو.

-٢٠ أغسطس سنة ١٨٠۶م.

-٢٠ فبراير سنة ١٨٠٧م.

-٢٨ يونيه سنة ١٨٠٧م.

-٢٨ يونيو سنة ١٨٠٨م.

-٢٨ يونيو سنة ١٨٠٨م.

- أى بقتل سليم الثالث.

-٢٠ يوليو سنة ١٧٨۵م.

-١۶ نوفمبر سنة ١٨٠٨م.

- سنتى ١٨٠٩م و ١٨١٠م.

- الظاهر أنه لم يدرس المذهب الحنفى بل درس المذهب الحنبلى، والوهابيون يعملون بمذهب أحمد بن حنبل.

- ديسمبر سنة ١٨٠٧م.

- ٢۶ أغسطس سنة ١٨١٢م.

- ١٠ أبريل سنة ١٨١۴م.

-٢٣ يونيو سنة ١٨١۵م.

-٣ نوفمبر سنة ١٨١۵م.

-١۶ نوفمبر سنة ١٨١٨م.

- هيتيرى: كلمة يونانية معناها جمعية أخويّة.

- ۶/۳/۱۸۲۴م.

- ۱۶/۷/ ۱۸۲۴م.

-أول ديسمبر سنة ۱۸۲۵م.

-۱ أكتبر سنة ۱۸۲۶م.

-۲۴ يونيو سنة ۱۸۲۶م.

-۲۵ يونيو.

- سنة ۱۸۳۰م.

-۷ فبراير سنة ۱۸۳۰م.

-۱۲ يونيو سنة ۱۸۳۰م.

-۵ يوليو.

-۸ يوليو سنة ۱۸۴۷م.

- مساحة الجزائر ۲۳۸۱۷۴۱ كم، وأشهر مدنها (الجزائر) العاصمة و(وهران) و(قسنطينة) و(عنابة) و(صطيف)، وقد تعاقب على هذه البلاد كثير من الأقوام من فنيقيين ونوميديين ورومان وفندال وعرب وأتراك. ثم غلب عليها الأفرنسيون سنة ۱۸۳۰م ولم يحكموها مستعمرة بل جعلوها جزءا من فرنسا وأخيرا استقلت سنة ۱۹۶۲م وأصبحت جمهورية.

-۲ يوليو سنة ۱۸۳۹م.

-۶ مايو سنة ۱۸۲۲م.

-۱۴ يوليو سنة ۱۸۳۹م.

-سنة ۱۸۴۱م.

- سنة ۱۸۵۸م.

- سنة ۱۸۵۹م.

-۱۷ يوليو سنة ۱۸۶۰م.

-۱۰ أغسطس سنة ۱۸۶۰م.

- أى سبعمائة وخمسون ألف ليرة ذهبية.

- ۶يونيو سنة ۱۸۶۱م.

-۸ فبراير سنة ۱۸۳۰م.

-۷ يونيه سنة ۱۸۶۱م.

-نوفمبر سنة ۱۸۶۱م.

- سنة ۱۸۳۰م.

۱- ۲۱ يناير سنة ۱۸۶۲م.

-۱۷ يونيو سنة ۱۸۶۲م.

-۱۹ مارس سنة ۱۸۶۵م.

-ديسمبر سنة ۱۸۶۵م.

-۵ يونيو سنة ۱۸۶۶م.

-۶ سبتمبر سنة ۱۸۶۲م.

-مارس سنة ۱۸۶۷م.

-۲۱ مايو ۱۸۶۷م.

-الموافقة سنة ۱۸۶۹م.

- ۱۰ يونيو سنة ۱۸۷۳م.

- ۱۷۷۹م.

- مؤرخا ۳۰ نوفمبر سنة ۱۸۵۴م.

- ۲۰ يوليو سنة ۱۸۵۶.

- ۱۲ اكتوبر سنة ۱۸۶۳.

- شهر مارس سنة ۱۸۶۹م.

-۳۰ مايو سنة ۱۸۷۶م.

-۲۲ سبتمبر سنة ۱۸۴۰م.

-۱۶ يونيو سنة ۱۸۷۶م.

-۳۱ أغسطس سنة ۱۸۷۶م.

-۷ سبتمبر سنة ۱۸۷۶م.

-۱۹ مارس سنة ۱۸۷۷م.

- سنة ۱۸۷۵م.

- ۵ مايو سنة ۱۸۷۶م.

- أول مايو سنة ۱۸۷۶م.

- الرديف هو الاحتياط.

- يوم ۲۳ ديسمبر سنة ۱۸۷۶م.

- سنة ۱۸۷۷م.

- آلاجه طاغ: بلد يقع فى الشمال الشرقى من انقرة.

- قارص: تقع شرق البحر الأسود، وهى الآن فى تركيا قرب الحدود الجورجية.

- سنة ۱۸۷۷م.

- سنة ۱۸۷۸م.

-۱۱ يناير سنة ۱۸۷۸م.

-۱۸ ابريل سنة ۱۸۷۸م.

-الموافق ۲۹ مايو.

-۵ يونيو.

- سنة ۱۸۷۸م.

-۵ مايو.

– ۱۸۷۰م.

– ۲۲مايو.

– سنة ۱۸۷۶م.

– ديوان القصر السلطانى.

–۲۴ دسمبر ۱۸۷۷م.

– سنة ۱۸۷۷م.

– ۱۸۴۴م.

– هذا الملحق كتبه الدكتور إحسان حقى، وقد خضع للتلخيص.

– فى الحرب العالمية الأولى سنة ۱۹۱۸م، حيث أن الدولة العثمانية كانت قد انضمت إلى جانب دول ألمانيا والنمسا والبلغار ضد انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا.

– آثرنا نقل هذا البحث الذى كتبه الدكتور إحسان حقى فى نهاية أصل الكتاب والذى يلخص فيه مجملاً بعض أسباب انهيار الدولة العثمانية. (الناشر)

– ¬¬فى هذا اليوم.م.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.